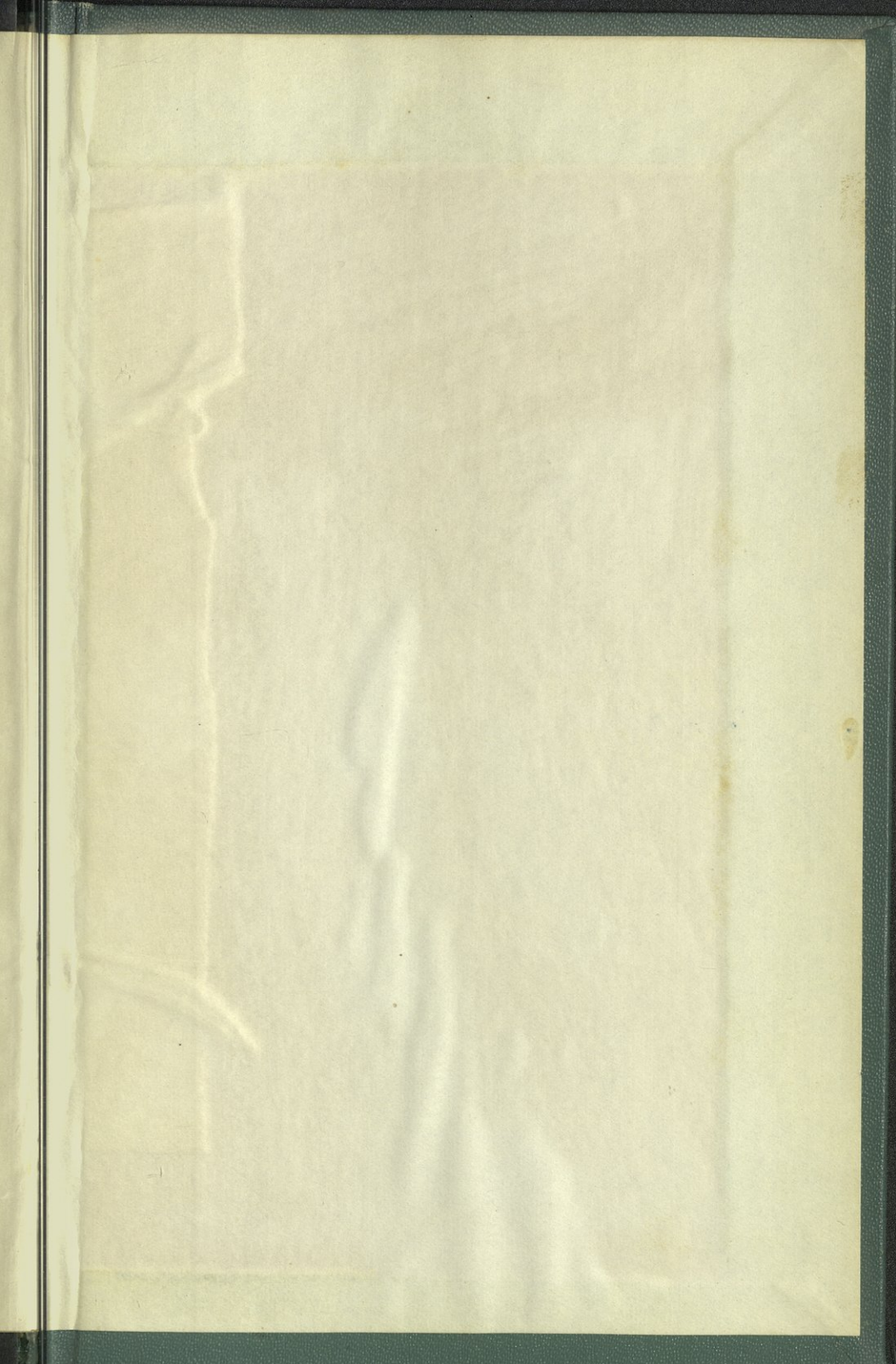
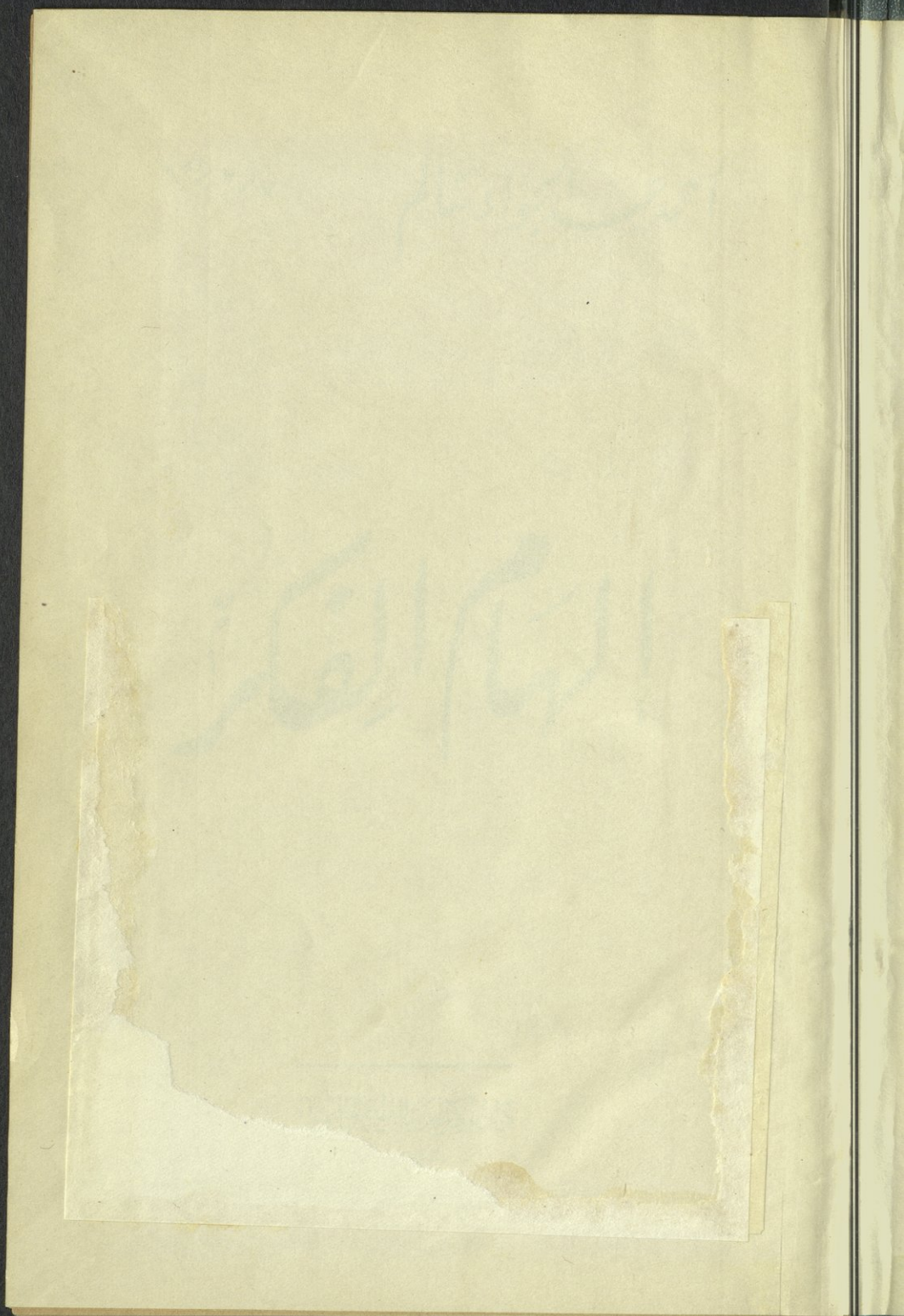


892.401004111.2





Cal. 21 Oct 53

العدد ١

892.78
SL63iA

٩٠١

٩٠١/٤/٧

أحمد عبيد الجواد سالم



892.78
SL63iA
C 1

إلهام الفكر

Cal. 21 Oct. 53

دار الفكر للنشر والطبع في بيروت
مطابع خيرية

MAJ 18

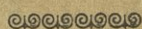
MAJ 18



الاهداء

إلى الذين آمنوا بأنسانيتهم ، فاعتصموا بها ..
وتعقبوا حيوانيتهم : فطاردوا في أنفسهم آثارها ..
وصاغوا عواطفهم : فكانت مزيجاً من رقة الخنثى وقوته
وقدسوا جلال الفكرة : فقهروا مآدق واستعصى من محيط
الكون الخضم ..
وانتزعوا من جوفه المبهمة : لآلىء الحكمة ونقائسها : وأبرزوها
للوجود :
واستوى لديهم : أعرف قدرها الناس أم جهلوه ..
إلى هؤلاء : ولهم لقليل ..
أهدى كتابى ...

فهرست الكتاب



المقدمة	القلب السليم
الإنسانية تزحف	السائحة الخائرة
في هجرة الرسول	السعادة وزوجها
فلسفة الحياة	مدرسة المروءة
الراية المنكسرة	الزهرة المسيطرة
القدر الغريب	هلال الربيع
بسمة من النور	الجوهرة المكنونة
نفثة القلم	بين الرياض
السحر الخلال	زهرة في رعاية الشيطان
منحة تلد منحة	

المقــــــــــــدمه

« هو .. الألهام : لا لأنه من الفكرة ينبع فحسب ؛ ولا لأنه المنقط صورته من معين الأدب فقط ، وإنما لأنه برز إلى الوجود فجأة فلبع برقه : وهيم له ما أراد ؛ ثم رجع إلى مصدره : لتنتثر له حباته وتصاغ له عناقيده : وتفصل له ثيابه : فتكون وصلة القارىء بالكاتب وتم كل ذلك .. فكان الكتاب ..

« وبين الألهام والفكرة اتصال وثيق : فبدؤه هي : ووجودها هو : وجمعهما يسمى بالعقل الإنسانى : كالسما : طفلها النجم وشابها البدر : ومصدر حسنها الشمس : والكل تحت نور ..

« أبداً يعد الناس أن الشيء ينهك القوى : ويجعل الأعصاب تتأوه ويرسل حار الدمع من رقيق الجوارح .. وينزل عليك منه بعض قطرات همه : فينكؤك ويلؤك . هو النافع المجدى . الخلد المسكرم . يفكر في شأنه . ويعرف له خطره .

« وهذا ما أمت فينا : أو جعلنا لا نبالي بما يطلقون عليه
(عفو الخاطر) بيد أنه قد يكون من الجمال رسمة : ومن السلاف
مورده : ومن اللب مأناه :

عوالم النور لا ترسل أول ما ترسل : إلا شيئاً منها : يدلك عليها
فإن صب الإنسان عليها شيئاً من شيطانه (١) : اضطربت : ولكن
تسائرة : حتى يفسدها : فتقلب جنابة عليه : كزجاجة العطر : أول
ما تنفخك عبيرها : فإن حرقها (٢) : مدتلك بما تمدها به . .

والناس لا يجمعهم صدق : وقد يضمهم حق : فدائره أوسع
ونطاقه أشع : فلئن اختلفت الإلهامات : وتشعبت في مذاهبها ونفحات
السكون حين انسكابها . فعرائسها منبعثة من حسائن الإنسان . ومن هنا
كان علوها وتفاوتها . (على حسب الأصل . يكون الناتج)

« بواطن الأشياء تبع لبدائنها (٣) أما شجرة النطق . فظاهرها منقاد
لباطنها : وهو من عاملين فريدين : القلب والعقل . وعلى الثاني الرسم :
وعلى الأول الإيجاد إذا سلم فإن كان العقل غير ذلك : تنازعا : وكل
يعمل على شاكلته .

(١) بأن صرفه إلى الشر

(٢) حرف الشيء : أى غير فيه وبدل

(٣) لما كان الظاهر يعرف بالبدئية يولغ فيه : فكان نفسها .

« والأعلى الغلبة في كثير الأحيان . . وهذا فرع الغريبة الأولى .
والنفس البشرية جملة في حين وحدتها : فالشر طفيلي على الخير . .
وكان موزعا : فضلا من الله ونعمة .

فبعض منها يسلك مسلك الروح : وهو عبارة عن الطفولة المقنعة
تفكير في الخير وإن لم يتم : وشروع في الإصلاح وإن مات وقت
ولادته : ونزعة الندم : وإن لم تؤثر . . وشيء ثان يثارتها : وهو لسان
الصغار الحقيقي . يبدل صدقها نفاقا . ووحيا شرا . ومدها جزرا .
ونظرها ضعفا : وسموها جبنا : وفي استسلام ابن آدم حينئذ هلاكة
وبعضها الآخر الخلاصة لكل . وإما أن تسكون نقية . وإما أن
تكون ذبالة . .

وتدليه الروح جزء من إنسانيتها . وسوء عنصر (١) المرء أصل
طبعه . وقد تترقى المقدمة . فينصهر ملازمها (٢) ويصلح . حتى يألم
العنصر للسبي . ويجاهد في زواله (لا تذهب نفسك عليهم حسرات)
ولا يكون ذلك إلا بالجهاد والعناء الدائمين . ويسبقهما العقل السليم . .

...

« إن جنة المرء ذلك القيس (٣) الرباني . وتلك النفثة الإلهية .

(١) كناية عن نفسه

(٢) أي الفتحة

(٣) هو العقل

وأول شروط الجنة الآخرة . نزع الغل . وذهاب الضغينة . وبعد
السوء وخلع رداء الشيطان . فانزع هذا كله . وجرد نفسك منه .
تستفيد من قبسك . وتكسب رضا واضعه . وتنل خيرى الدنيا والباقيـة
وتسلم من إخراج الضر الى من حولك . وتلهم الرشد والصواب .
وتكون ابن الحقيقة البار ..

« وبالعقل تعلم بأن الله لحكمته البالغة . جعل من الرسل قسما . هم
المبشرون والمنذرون . وقسما معنويا . هو العقول الموجودة فى الانسان
وكل رسول هو العظمة فى ذاته وقد يناوأ ويراجع . فيفيد بجمعه .
ولا يستسلم له جمعه . وكذلك العقل هو جوهر الصفاء . وربما يفشل
فى بعض خططه ونتائجه . وبهذا كان محتاجا الى أن يسير بالحكمة
ويحاط بحدود الحق ..

وكان الله قادراً على أن يجعل مجموعهما مسيطرين بالقوة
لا بالحجة . ولكنه سبحانه خلق النار . وجعلها جزءاً لبعض الناس .

...

« ولثلاث تكون للناس حجة فى غرورهم بفاتنات الحياة : وخادعات
الأمور : وألسنة التلصص : أنظر إلى حقيقة العقل : وكيف تسير
الجسم على ضالّتها وبساطتها : وحين تنزع : فبكر فى كلبة مجنون... ولقد
استأدى الخالق على جميع الأدميين ميثاقه : بأنه لا يحاسبهم إلا والعقل

فيهم: ضرورة أنه لا بد منه : ولولاه لكان الإنسان عظمة لحم : أو ورقة
مر أو دمة جفن : بكى : فارتسمت (١) على خده : لتبعث الحسرة في كل
ناظر : والألم عند أى مفكر ...

وكل طبيعة جبلت على طبيعتها . فليس هناك حلو من مر : ولا
مر من حلو : إلا طبيعة النفس : فاللذة الحقة في إمرارها وكرها :
والسعادة الدائمة تنتزع من بين مخالفتها وإغصابها : والفوز المبين ينتقى
إذا أهملت سورتها وجمحاتها : وأى (٢) منتزع : لا بد له من نازع :
وهو الانسان : أى عقله : أى النقطة المتسلطة على التدبير فيه : فهلا
كان أولى وأولى بشىء (٣) أوله الغرابة : ورؤيته الحيرة : وعالمه الدهشة :
أن يكون غريبا في بقمته : فيطبع نفسه على الخير : لأن الخير غريب
عندها : وذليل لديها .. ؟

* * *

« وبين العقل والحياة كلمتان :
هو : سأ تغلب عليك :
هى : سأهزمك أيها الجبار العنيد .

* * *

(١) لأنها حينئذ تكون متجسمة مدوسة : فهي أشبه بهيكل المجنون في
أن كلا منهما رسول الأحران
(٢) مثل وكل منتزع :
(٣) المراد بالشئ هنا بنو الانسان

« وأما الأدب : فهو الحساسية تطفو على البشرة : وتعلق
بظواهرها : فتجعلها مزيجاً من نور الطبيعة : ورقة المزاج : فترى كل
شيء : كأنه لها هي : وتنظر اليه لتستشف معاني حياتها : وتستشوق من
رحيقها دليل خلودها : وهنا اتصاله بالعقل : وتستلب من خاصها
متعة روحها : ومن عامها : تهذيب نفسها : ثم ترق حتى تنسكب جمالا
على ماحولها : فلا تبصر العين غير ما يبهج : ولا يقطع عن القلب
تفتحه واتعاشه : ولا يكتنز الصدر إلا لآلئ الحكمة : ومكنونات
الجواهر : ولا تخرج آلة الكلام إلا درر النبالة : وعقود الكلمات :
التي تحتطف قلبك بحركتها : وتهز مشاعرك قبل أن يتفوه بها ..
ثم تنبل : فلا تحكم على القشور بأنه جمال : ولا تتحمل القرب من
السفاسف : ولا تستطيع البعد عن دائرة الوجدان الحى : والضمير
الحر الأبقى .. »

« وكان الطبيعة قالت للأدب : أنا أنت : فحين يعرفك العارفون
ويشقف بك الواهون : فقد عرفوني وقدسونى : وخضعوا لجمالى :
وارتووا من محاسنى .. »

« وهل هو من خصائص العقل أو القلب أو كليهما ؟ »

ألا إنه اجتلاء الوجود وبهجته : وقرة النفس وفرحتها : ومحيط
غريب غريب : لأنه من سماء الى أرض : ومن أرض إلى سماء ..

لا يسمح فيه إلا من انخلع من عوارضه : وبز في نظراته : ورغب عن نزواته . وطلق قيود شهوانيته : فسما عن خسيس عاطفته : إلى رقيقها وعاليها : وطاهاها ونيلها . وكل بحر له عمق وإن بعد سفله : إلا هذا المحيط : فعمقه أنت لاهو : فعلى قدر وصولك وحيويتك : يكون معرفتك فيه : ووقوفك منه : فتعمق بهجك : ولا تركز : بطردك فتلقى في سفير نفسك ملوما مدحورا .

« وكل حى على حذر من عجائب الأشياء . وأشياء الأعاجيب : يراها فيرمقها لفتنته : ثم تنتهى ببسائط إعجابه : وهين روعته . لكنه إذا تقدم في هذا العلم : أحب هذه الأعاجيب : ورأى فيها ارتياحا مستساغا . وهدوءا موفورا . واستنبط منها ما يلد من أسرار . وما يعرفه من نظريات . وإذا كان هو يولد من الحقير جملا . وينظر في سم الخياط جبلا . أفلا يرى في الأعاجيب عجبا . ويخلق منها جوا سربا ؟ بل إن كلبة موت تكون حقيقة عند مطلق رجل وأشدها عند المهجور الملذوع . ولذة عند المتمتع بالوصال . القريب من رضا الجمال .

أنظر إليها وهي تخرج من الثانى . فيلفظ فيها أنفاسه . وي طرح بينها أحشاه . ويخللها بنبضات عروقه وقلبه . ويتمنى لو تحققت . فبرزت نفسه ببرزتها .

ثم أرسل إليها بصرك . وهي تخرج من الأخير : فيطبق عليها

شفقيته : حنانا لها : وحدا عليها : وحباً فيها . ولولا النطق وأثر الترنم
به : لما نطقها وتكلم بها .
والله خالق السماء والأرض . إنها لتخرج كلمة في كلمة في كلمة
حتى تصل الى مصبها .

« * »

« لو أن الانسان رق حينه . لتذوق هذا المعنى على أحقيته .
وأحسه على ماهو فيه : وعرفه كما هو .
وإنه ليفضله على كل شيء . وينسى كل شيء . يرى فيه رى عاطفته
ويقتبس منه نبع فؤاده . ويرتشف من سلسبيله ماء حياته . ويستودعه
جميع أمانيه وآماله . وانه حينئذ ليخفق فيه كل غرض دنيء .
أو قصد ردىء ..

حتم يحمله الجاهلون . وهو في كل لحظة أمامهم . يظهر مع
الوردة . ويسم مع الضحى . ويشرق في الجبين ، ويترنخ في الأزهار
يقبل مع الليل ، ويأتى بالنهار ، ألا إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار

« * »

« وهناك ناحية ثالثة . إذا أفيض عليها شعاع من الروح . تجاذبا
وتطارفا . وتندرا . كأن رائعا قابل أروع منه . ولم يكن بحسبانته
ذلك . هي الجمال . لو أنزل خيط من السماء . وصعدت عليه ذبابة .

لنقطعته ، ولو حبست ضالة شعاع من الشمس : في مشكاة ضيقة مظلمة
ثم أمررت فيه يدك ، لفرقتها من أجزائها : ولو مددت سبيلاً بينك وبين
آخر ، وحال شيء ثالث ، إما أن لا ينفذ ، وأما أن ينقطع : ولكن
لو بعثت بنظرك الى الجمال ، ماذا يكون ؟ أأست تشعر بأن روحك
قد تنقلت مع هذه النظرة ، أنى سارت . وأينما حلت ، فإذا ما تلقت
رسالته ، رجعت نشوى ، تميل من السكر ، وتهيم من الوجد ، ولو
كشفت الحوائل ، ووجدت الموانع :

هذا في تسخير الطبيعة ، وهى الآن فى القوة المسخرة للطبيعة ،
وهذا فى عالم الحدود والمنقول ، وهى الآن فوق التصورات والمعقول
صفت حتى ارتضاها ، وأرضاها حتى غرقت ، وأخفاها حتى وصلت
وأوصاها حتى كانت اللانهاية مطلبها ومبتغاها : واللا شعور بالعذاب
حقيقتها وطبعها .

« اضطرام وسعير ولظى ، هم ثلاثة أبواب لنار الدنيا ، ولك أن
تجمعها فى باب الجمال ، فالتعلق به مفتاحها ، وعدم تنزيه مكانته ، هو
قفله ، قفلها الذى يجيبك عما فى داخله ، ويزيد عندك اشتعال هذه
الثلاثة ، فهو يعمل عملين ، الحساب والعتاب ، وآه منهما ، من
نوقشهما هلك .

« صمته عين الكلام ، وكلامه فوق الرعد ، وإشارته تقول لك ، لا يهمني نحو لك أو أنينك : وكلما تعقبته ، وجدت أن كل نظرة أولى من جنسها ، وكل لفظة فريدة في نوعها ، وكل طرفة تفوق مثيلتها ، وكل صوت تفهم له معنى جديدا ، ويحدث عندك خفقات أخرى ، فياله من غريب . وياله من عجيب .

« أما اتصاله بالعقل ، فاتصال ملك بأحب جنده ، وكبير حاشيته يفرض عليه سيطرته ، ولكن ليتأدب : ويرغمه . ولكن ليقبل : ويصهره ولكن ليحب ، فهو به رؤوف : وعليه حان ، لو استقام ، وإلا بدده تبديداً ومزقه تمزيقا .

« تلك جهات كتاب الإلهام . وقد علمت سبب تسميته : ثلاث بهجة الطبيعة : فتبعتها الباصرة ، فصرفت إنسانها عن سواه ، ثم اختلست خيطا من خيوطه ، وأغمضت جفنها عليه . ولكن سحر الأعصاب ، رفعتها إلى أذاتها (١) العاملة : فاذداد شغفها به ، ثم شع نوره على ضبع (٢) الحيوية في الجسم ، فكثرت تعلقه به ، واستبقاه ، فأبى الخيط ، وترك أثره ، فنبع الألهام .

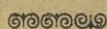
(١) العقل

(٢) القلب

« يعلم الله ويشهد ، أنى ما قصدت به إلا ما أراده منى هو ، فلا
يهمنى ، أصادف ثناء ، أم لاقى تهاونا .
حسبى به قارىء يعرف الأدب ، وقيمة الأدب : وفائدة الأدب ،
حسبى . حسبى . وكفى .

احمد عبد الجواد سالم

الانسانية تزحف... الى المدينة



« جنحت الشمس نحو المغيب : فعمّ الوجود صمت رهيب :
وهذى قریش تبغى أذاها : وتلك جموع ترى (١) قتل الحبيب :
وهاهو الليل باسطا رداه : على السكون : ليستروح المسكدود : ويأوى
الغريب : .. »



« ويسأل الوجود مستغروباً : عن هؤلاء الطغاة : لماذا يسعون
في ذا الوقت السكتيب : ولأى شىء يرصدون محمداً ؟ بسيف
مصلته : وعيون يطّار منها شرر اللهب : أهل يريدون حراسته :
أم يفتنون غدره وخيائنه : ؟ إن حالهم لتوقع في شك مريب : وإلا
فماذا جناه رسول كريم : ؟ حتى يحاط بهذا الويل العصيب : .. »



« أذنب أن قال أعبدوا ربكم ؟ واطرکوا الفرق بين الحسيب
وغير الحسيب : فليقول المعبود حفظ نبيه : وليخبر رسوله بذات النبأ
العجيب : ويسرطه رغم أنف الجميع : حيث طيبة : وحيث أمر الله
المهيّب : وليفعل القوم بعد ذاك ما شأؤوا وليشب فتیانهم . وليرع
من أتاه المشيب : .. »

« ما كان ربك ليترك عبده : وهو على كل شيء رقيب :

* * *

« وإن أليق ما يوصف به سيدنا محمد : أنه كان غريبا في كل
أطواره : جديدا في كل أفعاله : عظيما في جميع حقائقه :

* * *

« وهذه أمور لازمته طفلا وغلما وتاجرا : فلتلازمه رجلا
ونبيا ورسولا : وإذا : فليهاجر محمد من بلده طوعا أو كرها : وليودع
هؤلاء القوم : حقدوا عليه في قرارة قلوبهم : وأبوا أن يستمر
حقدهم كعنايه : غامضا مبهما : فأظهره على مسرح الوجود : ثم
أنفوا من بقاءه معنى صامتا مهملا : لا حراك فيه ولا سكون : فأبدوه
في كل شيء : !

* * *

« في كبرياتهم الجاحية : واشتمزأهم المتكف : واصلفهم الجاف :
ووقفهم أمام الحق وقوفا جامدا صلدا : لا يقبل نقاشا : ولا يرتاح
لتفهم ..

* * *

« وإنما هو وقوف يند منه كل شرأثم : ويتولد من حرارته سكير
يتلظى : وزفير يتلهب : ونيران تحمي وتعذب ..

« وما أشبه هذا الوقوف بهذا الحجر الأصم : تأتية الطائرات
الخمر من الرصاص : فتثبت فيه : ولكنها لا تؤثر فيه ..
وليس من فرق بين هنا وهناك : إلا أن الحجر لا يصيبك منه
شيء : أما قریش فقد كانت تصيب بكل شيء ..

* * *

« لقد أمرت النبي أن يرجع عن دينه فأبى : فقامت قومتها :
وعزمت عزمتها على أن تقاطع محمداً رأتباعه : وقاطعت : فوقع
النبي وأصحابه في جهد جهيد : وألم مضن شديد ..

* * *

« ولكنه لم ينثن عن مبادئه : ولم يرجع عن دعوته : بل كان
الشخص الذي عظم ونبل : حتى أضمر في هو : ليمتصح ظهوره : كلما
أريد حفاؤه كقبس النور : إذا حلك الظلام حوله : زاد بريقه
وضياؤه :

* * *

« وهنا أخطأت قریش إذ اعتقدت أنها أصابت : وهل حرقه
الآلام وشدة العذاب : تزيد المومن إلا قوة واستمساكا : وثباتا
ويقيناً : وطمأنينة واستقراراً .. ؟ !

* * *

« فبالغت قریش من ناحيتها : وبالع النبي من ناحيته : حتى تغلب صوت الحق على طنين الباطل : فانحصرت دائرة المشركين : وضاعت ذراعها : وعلى قدر انحصارها وضيقها : كان انفراج الدائرة الأخرى وانبساطها :

* * *

« وإذا : فلا عجب أن يكون بدء التفكير في قتل النبي : والسعي في القضاء عليه : بدءاً وسعيّاً آخرين : في ظهور فجره : وانبثاق هدية : وتحديد حياته .

* * *

« فليخرج هذا العالم الجديد : في ظلام الليل الشديد : إلى ذلك البلد المجيد : لينشر فيها هذا الدين السماوي الوحيد ..

. . .

« وإن كان من الصعب أن يفارق المرء أهله ووطنه : فإن الشقاء كل الشقاء في أن يفارق ضميره وعقيدته : ومن القسم الأول كان حزن النبي العميق : ومن الثاني كانت السلوى والعزيمة . وولا الصبر والعزاء . والقدوم على التنفيذ من غير ما تعليق ...

. . .

« مجموعة من الغيب تساير الغيب كله . لتقول له .

أنا منك : فساعدني بقوتك : « ومدني بألهامك . وأسعفني
بأقدارك ..

* * *

« وإن كثيرا من الناس ليسكون أشياحا في هذه الحياة . فما هم
إلا هياكل جسمانية . سرت فيهم الروح . فتحركت . فنطقت . فأكلت
بعد ذلك وشربت . وهذا القسم من الناس أوله نهايته . فكلما لا
ينتفع بمبدئه كذلك لا ينتفع بآخره .

* * *

« وقد يكون من الناس الرجل العظيم . فهو إن لم يتخلق بكل
الأخلاق الفاضلة . فهو متخلق بأكثرها . وهو إن لم ينصف بجميع
الصفات المحمودة . فهو متصف بأغلبيتها . وهذا القسم له أثره وله
خطرة في المجتمع الأنساني . لأنه يأخذ ويعطي . ويفيد ويستفيد ..

* * *

« وهناك .. وهناك الحى النوارانى الأعظم . وهذا لا بد أن
يتمثل فيه قالب العظمة الكلية . فأن مدته الحياة بقوانينها . مدها هو
بفضائله . وإن كسبه بمنافعها . كساها هو بهيئته وجلاله . وهكذا
أكان نبينا محمد . صلى الله عليه وسلم ..

« فلقد بلغ حب الحياة له . وشغفها به . وحنيتها اليه . أن تمازجت به . وتمازت فيه . حتى كان شفافا شفافتها . وحتى كان لا ظل له مثلها . وحتى ليحدث . أنه يمر أمام جماعة يريدونه ويرصدونه . وينتظرونه ويتفقدونه . ولكنه يمر فلا يشعرون . ويمشي فلا يحسون . ويبرحهم فلا يدرون . وإذا بهم وهم في النوم غارقون .

...

« وإذا بهم وهم على هذا حتى يصبحون . وعن الذي أتوا من أجله ساهون . ثم يرجعون ضلالا حيارى . تصعد الزفرات في صدورهم . وتنحدر الأنات إلى قلوبهم . ويمزق الآسى شغاف نفوسهم ..

...

« كأن المقادير تعلنهم . جعلتم المادة كل شيء . وصرقتم نحوها كل أفساركم وبمتم شطرها كل آمالكم . فارضخوا إذا لأضرارها التي ستلقيا عليكم .

...

« وترفر ف سكنية الله على النبي هنا لك . وتمازج فوقه . وتحدو حوله يمنية ويسرة . فينظر إلى صاحبه : فيحس منه وجلا . فيقول له (لا تحزن إن الله معنا) فتذهب لا بخوف صاحبه . وتأتى إن

بالطمأنينة والاستقرار . أليس بعدها الله وهو العزيز الحكيم . ؟

. . .

« ثم يسكب الرسول وصاحبه في حرقى (مع) لكي يتشرفا
بإضافتهما الى نون العظمة الربانية . فيحيط بهما سياج هذه العظمة . فلا
يراهما الكفار وأعدائهم . فيرجعون خاسئين مدحورين . ويمكنان
هما آمنين مطمئنين .

. . .

« عظمة الشخصية هي النقيض الوحيد لعظمة الدنيا . لأنهما
لا يجتمعان . بمعنى أن الانسان قد يصغر ويتضاءل . حتى يكون قبضة
في الدنيا . وقد يعظم ويسمو حتى تكون هي قبضة في يده . أما أن
يعظم الشخص وتعظم الدنيا أمامه : فهذا هو التفسير الذي لا حل له
لأنه التفسير الذي لا دخل للعقل فيه . .

. . .

« وإنسانية رسولنا الكريم : هي الإنسانية الملهمة . التي استطاعت
أن تخرج معانيها من محيطها . كما تلد المرأة طفلها من أحشائها . وبذلك
كانت الأم الروم للعظمة ونبالتها : وبذلك كانت الدنيا على سعتها .
وبذهبها وفضتها . قبضة في يدها : وإذا ملك الانسان الشيء زهد فيه .
وبذلك كانت أجود من الريح المرسلة . وأكثر فيضانا من المحيطات
الواسعة . . .

« ولهذا كله يعرض عليه أبو بكر أن يتولى هو نفقات الرحلة إلى المدينة . فيقسم . إما أن تقبلن الشركة . وإما أن أقطع صحبتك !!

...

« وما له والدنيا . أيجوز للبدر أن يطمر نوره بغرفة من التراب؟!

...

« ما أعظم الآمال تتلاقى في عالم الوجود : وما أبعد الآمانى تصدق فوق عرشه . وما أروع هذين الصاحبين . يجدان في السير . وكلها رغبة في هذا المسير . وما أعظم ذلكم المشهد . ينتظرهما كل يوم فلا يردهم : إلا حر الرمضاء . وشدة الهجير ..

...

« جلائل الأشياء . من غريبها أنها كلما أريد تنقيصها . ظهرت قيمتها . ووضح سموها . وأثر طابعها . وهذا هو السر كل السر في خيمة الفرس التي تبعت النبي وخله . لكي يظفر صاحبها بمرسوم قريش المالى . وهل هذا الرجل بفرسه وغرضه إلا قطعة من المادة الحقيمة . وبربك : هل المادة إلا ظلمة . فماذا يكون شأنها إذا وضعت بجوار شمس ؟؟

...

« إنها تنوب ..

ولقد ذاب الرجل . . فرجع مسلماً (١)

...

« تالله العلي العظيم :

لولا بعض الانسان لفضل الجماد على البعض الآخر : لأنه بعامة
لو عقل : لآمن به كما آمن شيء منه . ولا يحمد ويكابر كما حجج الانسان
وكابر . فيؤسا للحيوانية . تطفؤ حتى تفرق فيها الإنسانية ..

...

« وتدخل البشرية الفذة . تلسم المدينة المنورة ..

...

« وإذا بالدهر يطلع على أهلها بأسعد طلعاته . ويلاقيهم بأبهى
حالاته . بل ظهر لهم . كأنه محتاج لرضاهم . ومتلبس للحفاوة بهم .
وكانه يقول لهم . هذه هديتي إليكم . فطيّبوا أنفساً . وتمتعوا ما أحسنتم
المتعة . واهنأوا ما وسعتكم الهناءة . ثم يصمت الدهر . لينظروا هم
ويشاهدوا . وليطفئوا لظى هذه الهاجرة . بسلام ذلكم القلب الانساني
الكبير . . ويهجروا أنظارهم ببريق هاتين العينين . المجلوءتين لجلال
الحق . ونور اليقين .

...

« قطرة المسك كخيرها . ولسكنها حين تنسكب . تباع في جزئياتها

(١) إن ثبت القول بأسلامه كان السلام على ظاهره : وألا كان لفظ
(مسلماً) من التسليم والانقياد

كليات ما حولها ، فلا نشم إلا رائحتها . ومن هنا فاقت غيرها . .
وهكذا النور النبوى . حينما يشع . غير أنه يزيل ذلك الغير . ومن
هنا فاق العطر نفسه . وغير أن أثره يبقى ويتجدد . ومن هنا أيضاً فاق
رائحة العطر وآثاره . .

...

« ولذا ، كان النبي حين دخوله المدينة ، دليلاً على صدق الرسالة
وسعة محيطها ، وبعد مرماها وخاتمها :

وكان أبو بكر بجواره دليلاً آخر : من صنف آخر . على مقدار
تأثيرها فى النفوس . وسموها بالآرواح . .

...

« المعنى الجميل الرائع . إذا ارتسم فى الذهن : أبت ووعته إلا أن
تبقى وحدها . لحظتها . فهى تستولى وتسيطر : ومع ذلك : فلا يأنف
الفكر أن يظهر لها نشوته وطربه لذلك . ويتمنى لو بقيت مسيطرة
عليه . .

وكذلك الاسلام : عندما يطبع فى النفس يأبى إلا أن يكون وحده
ويستبد بصاحبه . فلا يزيد عليه إلا إقبالاً .

« ويعلموا أمامه . فلا يزيد الشخص إلا حبا فيه . واعتناقاً له .
وخضوعاً لسلطانته وقوانينه .

والحق الذى لا مرأ فيه : أن هذا الدلال الاسلامى ، إن هو إلا
السمو فى ذاته . فهو يريد أن يرفع بك ، ولكن يريد أن يقول
لك ، قدم المهر ، لى تكون الرفعة من حقك ، ولا يمشى عليك
أسلوب المنحة ، فأول درجات العزة ، وهى لا توجد إلا إذا كانت
بدم عملك ونهايته

...

« وبرهان هذا خشوع المؤمن الحق لواجباته . ورهبة هذا
الخشوع ذاته أمام ناظرية ومشاهدية

...

« ومن هذا المعنى كان تأثير النبى ورفيقه على أهل المدينة »

...

« فقد أقبلوا على هذا الدين ، إقبال ذى الغلة الصادى على الماء
النير ، فارتشفوا منه ارتشافا ، وعبوا منه عبا ، حتى إذا امتلأت به
قلوبهم ، أفاضوه على بقية أجسامهم ، وحتى إذا استقامت على شريعته
ظواهرهم ، أقاموا عليها بواطنهم ، وحتى إذا علمهم الجود والكرم
لا يكتفون بهذا فحسب ، بل يؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم
خصاصة ، وحتى إذا بث فيهم روح الأخوة والأخاء ، لا يقتصدون
فى هذه الاجابة ، بل يذهبون بها أبعد المذاهب ، ويشقون فى سبيلها

أصعب الطرقات ، وحتى إذا طلب منهم القتال والاستشهاد تقدموا إلى ميدانه فرحين ضاحكين ، وهم في أقصى درجات الحرص على هذه الشهادة ، وحتى إذا تحققت فيهم هذه الظاهرات كلها ، ضمهم النبي إليه ، وجمعهم بين يديه ، ثم قال لهم

« إنما أنا من الأنصار ، والآنصار مني ، ألقم ترون أنه لو كان هناك جيشان ، لأويت إلى جيشكم وانضممت إلى سر بكم ، ثم يتلو عليهم هذا النطق السماوي الكريم

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا .

...

« إن أعظم شيء عند الزهرة الزائلة أن تقدم لها قطرة ماء ، وأروع ما يكون لدى الجمال ، أن تظهر له اعجابك به ، وتقديرك له ؛ وإن الإنسان عندما يترعرع الإيمان في قلبه ، يكون كالزهرة في تفتحها ، وكالجمال في روعته ، وخينئذ فهو في احتياج إلى من يغذو روحه بمائها ويظهر له أنه مهتم بشأنه محافظ على سعادته .

...

« ولما كان أهل المدينة من قبيل هذا . رأى الطبيب الاجتماعي الأعظم أن أسمى شيء يقدم لهم على سبيل مكافأتهم . معنى يساق لهم

كذلك الحميت . فصلوات الله على قائله . ورضوانه على الذين قبل
فيهم . . .

. . .

« وهل المعاني الروحية تقابل بشيء ؟ »

أنظر إلى المنة العظمى . يمتن الله بها على أهل جنته . ونزعنا ما في
صدورهم من غل ، فهو يريد أن يبين أن النفس إذا انغمست في ظلماتها
لا تعتبر ولا تقدر إلا للماديات . وإذا رقت إلى نورها . لا تنظر
إلا إلى المعنويات . وهذا الحكم سائر في الدنيا والآخرة فكلما أن
الغل لا يكون في الجنة . لا يكون في قلوب المؤمنين أيضا . وكما أن
نعيم أهل الجنة روح وريحان . ينبغي أن يكون نعيمهم الخ .

. . .

« نعيمهم في الدنيا من الجوهر عينه . وإن اختلف في الشكل :
وهذا هو الذي دفع النبي على أن يلقي لأهل المدينة هذه الموعظة
الآخادة بالقلوب . »

. . .

« وفي هذه البطاح المطهرة رفع شأن الدين : وكان محتفيا . وظهر
لواء الحق وكان محتبئا . وقويت شوكة الدين . وكانت مهينة ضعيفه »

. . .

« الكبرياء تضغط على ما حولها بقوة منتزعة مدعاة . فهي تزيد وتنقص . حسب من أمامها . ولكن الفضيلة تتسلط على ما حولها بقوتها الطبيعية التي لا تتغير ولا تتبدل . فهي ثابتة أبدا . لأن عليها طابع الخلود . ولذا فتجد النفس المتصوفة بها من علامتها أنها لا يطررها الغنى . ولا يلعب بها سلطان الزهو والفخر . ولا يتسلط عليها تيسار الغرور والحق .

« ومن هنا يعلم لم لم يؤثر ظهور محمد على نفسيته المنتصرة . ولم لم يغير شيئا من إنسانيته الفائزة . ؟ بل كانت في الثانية عينها في الأولى .

. . .

« ها هو ذا سيدنا محمد يظفر . وينتصر . ويملك . فماذا يعمل ؟؟

. . .

« وقف يسمع نجوى نفسه . ويتلصص أحاسيس قلبه . ونزعات

روح ..

. . .

« أما النفس فهي غارقة في الحمد لربها والثناء عليه لهذا الظفر . ويستولى عليها الحب والحنين لهذا الوطن . وأما القلب فهو هاتف من أعماقه . « فن عفا وأصلح فأجره على الله » . ولئن صبر وغفر ، إن ذلك لمن عزم الأمور ،

وأما الروح فتسبح في ملكوتها ، فلا ترى إلا الصفح الجميل ،
والغفران الجزيل ، والعفو الشامل ، والبر الكامل ،

. . .

يا أعاجيب الحياة ، رجل يكون أمامك ، وهو بعيد عنك « وتمتد
الأيدي لأيدائه ، فيترفع عن التفكير فيها ، كأنه يوحى لمن أذاه ، أفعل
ما بدا لك ، فهذا من توابعي كما هو من توابعك ، وكل ميسر لما خلق
له ، ولن تجد مني إلا الصبر وعدم المبالاة ،

: ما أعظمه ، إنه لنبيّ ، إنه لنبيّ ،

. . .

« ويستجيب النبي لوحى نفسه وقلبه وضميره ، فيجمع فريشا ،
فيخطبهم ، فيريهم أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة والآيثار ، ودين
الحلم والسماحة ، والعفو عند المقدرة ، ودين السلم أن أجدى السلم ،
والحرب أن كان لا ينفع إلا الحرب ، ،

. . .

« ويكبر المسلمون هذا العفو ، ويضعف المشركون أمام روعته ،
فتردد الألسنة ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ،
حريص عليكم ، بالمؤمنين وءوف رحيم ، ،

. . .

« ألا إن في هذه الذكرى حياة نقلوبنا ، وتجديدا لأرواحنا ،
وبعثا أصغر لعالمنا ، وما يعقلها إلى العالمون !

• • •

« ألا وإن فيها المثل التطبيقية لكل من جاهد وصابر ، ولم يبال
بثرثرة الظالمين ، ولا قوة المعاندين ، لو فهم ما فيها المسلمون ،

• • •

« لعل كهرباءها تشع ، فيصادف شعاعها قلوبا متفتحة ، فيرسم
فيها ، فيخرج خبثها ودرنها ، فتستطيع بعد ذلك أن تؤدي ما عليها
نحو الإنسانية ، ألا آن الأوان ، ألا آن الأوان ؟ !

فلسفة الحياة

« إذا كانت العبارة هنا رقيقة رقيقة : فاعلم أنها أثر نسمة من
نسمات الحياة : وإذا كانت شديدة شديدة : فاعلم أنها نتيجة عاصفة
من عواصف الحياة : وإذا كانت غامضة مهمة : لا تكاد تستبين .
ولا تكاد تفهم . فاعلم أنها تفسير لفلسفة الحياة . .

« وما الحياة في حقيقتها إلا شيء كأنه شيء . فتطمع في كسبه . فيظهر
لك من الضعف ما يزيد في طمعك . وما يضاعف من مجهودك . حتى
إذا تعبت ونصبت . قالت لك . إذا . لا تصلح لأن أقبل عليك . لأن
اسمي مشتق من الحيوية التي لا تعرف الملل . ومن الجهاد الذي لا يسرى
إليه الكل : ومن التجدد الذي لا يفتر عن العمل . وهذا غير
متوفر فيك ..

« وما فلسفتها إلا قطعة من الغموض . كأنها الغيب . وجزء من
التردد كأنه الريب . ومثل في التعمق . كأنه القلب . .

« معنى عمق . فلم يعرف له قرار . وشعاع امتد فلا تدرى نهايته

وصفاء ازداد . فلا تستطيع أن تحكم على أوله أو آخره ..
 « إنها أطوار وأطوار . خيئاً تفجؤك بحلوها . وأحياناً تقذفك
 بشروها . وتارة ترتسم لك صورة حيرى . وتكون عميقة عمقها .
 متشعبة تشعبها . وتصير أنت بجملك نقطة في محيطها .
 فان كنت محظوظا . كنت في أعلاها . وان كنت غير ذلك .
 أصبحت في سفلاها . فاذا صبرت واستسلمت . فخيرا قدمت . وجميلا
 عملت . وإذا ثرت وغضبت . قالت لك « ارفق بنفسك . وأصبر على
 ما أصابك . فهذا هو نظامى الذى لا يغيره تأثيرك . وهذا هو قانونى
 الذى لا تبدله ثورتك .

« وتلك الأيام نداؤها بين الناس . وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ
 منكم شهداء والله لا يحب الظالمين .

« أعجب أولاً تعجب . فهى التى تقيمك وتقعديك . طوعاً أو كرها
 منك . وأنت على حافتها ما أنت على الخافة الأخرى . لأن ذاتها
 متصلة بعضها ببعض . ولا تقبل الانفصال بحال .
 أليس رضاها منتهياً بسخطها . وسخطها مقدمة لرضاها ؟؟ .

...

« عجائبها لا تنقضى . حتى تنقضى . وغرائبها تتجدد فى كل لحظة من

لمحاتها . وآياتها شاذة . لأن صورتي الاعجاب والاحتقار متعلقة بها .
 « تبسم أمامك كالزهرة . ويغريك منظرها . كالوردة . وحينئذ تمد
 يدك لاقتطافها خطفتك هي . ووضعت بين حناياها . وأسرت اليك .
 فزرت إن هدأت وسكنت ، وخسرت إن قلققت وتململت ، وهذه هي
 معجزتها الوحيدة ، التي أخسرت كل لسان ، وقضت على كل حركة ،
 وأوعدت جميع القلوب .

...

« قوانين عربية : وأعظم غرابتها أنها ثابتة : فلا تتحول ولا تنتقل
 ولا تتأثر . ولا تشعر أنك أنها غريبة .

...

« الإنسان فيها ، كالسمك في البحر ، كل رضى بجزئته ، وقنع بما
 يفرض عليه ، ورضى بما يوجد له ، وكما أن السمكة تموت إذا خرجت
 من البحر ، فكذلك الإنسان يموت عقب خروجه من الحياة

...

« وإذا ، فالذى ينبغي أن لا يجهل المرء حقيقته ولا يغتر بلسان
 باطله ، ولا يزهو بسداد رأيه ، بل يلزم نفسه الأدب مع نظام الحياة
 فلا ينزل حار لعناته على قوانينها ، ولا يصب مقذوفات كلساته على
 أيامها ، لأن هذا لن يفيد في شيء ، ولا يضرها في شيء ، وإنما هو
 من قبيل الحق الذى أوله الغرور ، وآخره الهزيمة

« ولذا ، تسكره منك أن تتعظم عليها ، وتعاملك هي بكل غطرسة
وكبرياء ، فإن خضعت لها ، أحسست كأنك مهضوم الحق ، ذليل
الجانب ، ضعيف السلطة ، محصور الدائرة ، وإن وقفت أمامها
صامتاً بحقائقها التي تنطير كالشرر ، وقابلتك بسهامها التي تنفذ
كالقندر ، وواجهتك بنكباتها التي تغمرك ، كما يغمر الأرض السيل
المنهمر ، ونادتك ، اخضع أو لا تخضع ، فساديقك العذاب الأمر ،
حتى ترجع إلى ربك ، ويكون عنده المستقر

...

« أنت دوماً في حيرة من شأنها ، وهي تقلبك كما تشاء ، وأنت في
اضطراب ، وهي في سكونها ، كأنها السماء وأنت المسكين الذليل ،
وهي المعول العامل في الهدم لأفسارك والبناء ، وهل هي إلا تغيير
وتبديل ، وشروق وغروب : وطلعة ثم ، ثم خفاء

...

« عوامها الظاهرية ، إغراء يعميك ، ورغبة تستولى عليك ، ويريق
يضئ لك بعض ما أظلم منها ، فإن نظرت إلى هذا بعين قلبك ، ونور
بصيرتك ، نفذت إلى حقائقها الباطنية ، ووصلت إلى خفاياها
المسكونة ، وحينئذ ترى ما لا يراه غيرك ، ولا تسيطر عليك ، كما تسيطر
على غيرك ، بل تقف منك ، موقفاً سليماً أكثر منه إيجابياً ، وتقف
أنت منها موقفاً إيجابياً أكثر منه سلبياً

« ومن هذه الناحية نظر اليها سلفنا الكريم ، فعرفوا أنها البرقع المزيف ، والسراب الملمع ، والمعنى المنمق ، فساروا فيها على حذر ، وقدموا عقولهم على أبصارهم ، واستعملوا قلوبهم وراء ألسنتهم . وبذلك كانوا لا يخضعون لسلطانها . ولا يباليون بما تجاوبهم به . ولا يسألون عما حيزت عنهم ، ولا يحزنون لما فاتهم منها ، فأخضعوها لهم ، وملكوها بأزماتها .

* * *

« أنظر إلى ذلك الأعرابي » يقدم على ابن الخطاب ومعه عصاه ، وإناء للوضوء . وهو حافي القدم « حاسر الرأس . وكان واليا في هذا العهد فيندش عمر ، ويسأله ، أأجدبت البلاد ، أم ماذا ؟ . فيقول الرجل ألم يكفك أنى أقبلت عليك بالدنيا كلها ، وهل هي بخذافيرها إلا تبع لما معي ؟ .

* * *

« جوهر من النور ، يشير الى حقيقة النور ، بكلام من النور ، ليُدل ويبين عظمة النور .

...

« إن الحيوانية إذا صفت ، صارت إنسانية ، وإنها إذا سمت ، تجردت عن عوامل التأثيرات : فتتظر من غير مؤثر . فتري من الواجب أن تجهر بالحقيقة ، وإن كانت مرة ، وتصدع بالحق وإن كان صعبا . وتتفوه بالصدق ، وإن كان علقما .

« ومن الحقيقة والحق والصدق ، أن تنظر الى الحياة من غير روائها ، وتبصر ما فيها مجردا عن طلائها ، وتعمق في ذلك حتى يمكنك أن ترى بظاهرك ما طوته عنك في خفائها ،

• • •

« من يدعى بأنه مصرف للحياة ، ومؤثر في أقدارها ، ومالك لزماتها ، من غير أبوابها ، كان مثله ، كرجل ، ضرب ، بمجدافه البحر ليشعره بأنه مسيطر عليه ، فلا يدري إلا وهو في أعماق البحر يهوى فيصبح من عليه الى اليه ، فان أماته ، ذهب ومضى وان أخرجه حياً فهو برضا منه واختيار

« جبروت نقطة (١) مهينة ضعيفة ، قابلة للمحو والتغيير ، متأثرة بالجو الذي يحيط بها ، مضطربة في غالب أوقاتها ، تستطيع أن تقف أمام محيطها ، وتثبت في عين كلها ، وتجاوبه بأنها هي المالك له والمسئولة عليه ، ثم لا تكتفي بهذا ، بل تذيبه وتنشره ، وتلقيه لكل رائح وغاد ، يا لغرور الانسان ، يا لغرور الانسان

« قبل أن تعطيك الحياة نعمتها ، وتمنحك منحتها ، تبين لك ، أن هذا الاعطاء عن رغبة لا عن رغبة ، وتقول لك ، الدليل على ذلك تمنحك بعض ماتريد ، ومنعك أكثر ماتريد

(١) كفاية عن الانسان .

« ولو أنصف المرم لرضى بخيرها ، وثبت أمام صدماتها ، ولا يعيرها
إلا نظرة بعيدة المدى ، عميقة الغور ، شديدة التأثير ، لينظر ببعد
ما وراء مظاهرها ، وليرى بعمقها ما خفي تحت ستارها ، ولينفذ
بشدتها الى كشيء حجبها ، وليقول لها ، إذا كنت أنت قوية بسلطان
المقادير ، فأنا أثر من آثارها

...

• ما بعد الفرق بين اسم الحياة ومعناها

إن تركيبها الظاهري ، ينبئ بأنه يعرف لأول وهلة ، ويوصل
اليه بأدنى فكرة وتستطيع أن تفهمه بمجرد اللمحة

فإذا بحثت طوالياً ، ووقفت على خفاياه ، علمت أنه الساحل الذي
لا عمق له ، والباطن الذي لا قرار له ، والغيب الذي لا يعلم ما فيه إلا
صاحب الغيب ، والصحراء التي يضل السارى فيها ، أينما حل وسار
ولا يسعك عند ذلك إلا أن تسلم الأشياء لباريها وتخضع في النهاية
لمشيئها ، وتقر بأنك الانسان الذي كما يوعد بالتخريب والدمار ،
يوعد بالعجز والتقصير ، ويقال له ، لا تكثر من كلمة أنا ، ولا تسرف
في ادعاءك الجوف ، ولا تشطط في تفكيرك ، ولا تمش في الأرض
مرحاً ، انك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولاً

...

كبرياء جامحة . ووهم قتال . يصيبان المرم في هذه الحياة : فأول

ما يعمل ، يلصق بنفسه الضياع والهلاك ؛ ويقربها من مادة النار المشتعلة
حاسباً أنها التور المضى* فهو يأنف أن ينظر ، ويحتقر أن يستفهم ،
فيجرد شخصه مع الجامدين ، وتزلف رجله مع من سواه . وعلى نفسه
جنى . وإلى شخصه ترجع عوامل الشر .

٥٥٥

« وجهل مطبق يدهمه ، فيملى عليه ، أنه يجب أن ينفذ كل ما يبتغيه
ويمضى جميع ما أراده ولو هلك الناس جميعاً ، أو لم يهلكوا .
حسبه ما بين ضلوعه (١) ، وكفاه ما فى جوانحه ، فان منع شيئاً عما
طلبه ، أكل الغيظ قلبه ، ومزق لبه ، ومضى على بقية آماله ، وظن أنه
البناء ينهار . فلا يجد من يقيمه ، وأنه الطير ذبح ، فلا يجديه رقصه ،
وأنه الكلمة ذهب جزوها ، فلا تليق إلا اذا وجع .

٥٥٥

« حروف ضجمة ، أريد تصليحها فرقت ، ثم تمازجت فى بعضها
ثم رأتى عدمها ، خذفت ، ورمز لها بدليل : هذا شأن الانسان فى الحياة
« ما أسعد المرء تكشف له الحياة عن لثامها ، وتشرق عليه
بنعائها ، وتظلل بوارف طبيعتها وتحوطه بجمال عنايتها ، وتدل له
سبلها وطرقها ، وتنفضه بشذا عيرها ، فيتقلب على الأرض طروباً
مرحاً ، مسروراً فرحاً ، يتمنى فتقبل عليه أمنياته ، فى أثوابها الحسان

وهيئتها اللطيفة الرشيقة ، ويتصور ؛ فيجد ما تصوره أمامه ماثلا ،
تحيط به بسممة الرغبة ، وتزينه علامات الاقبال ، وتجمله أساليب
الاعزاء ، ويطلب ، فما يعرف بأى يد يأخذ مطلبه . ولا بأى أصبع
يلبسه . . . ؟؟

• • •

« واسكنه الانسان الجحود النفور ، فلا يلبث أن يزهد في النعمى
ويميل النعيم ، ويبأس من التكريم .

• • •

« وما أشقاء ، تعرض له صورا وخيالات : فيتبعها رغباته ، ثم
حار زفراته ، فلا تلبث أن ترجع اليه دموعه عارية ، إلا من ثبابها
ظمأى ، إلا من مائها ، فتزد إلى عينه ، ثم يصعد بخارها إلى فكره ،
فلا يزداد إلا ألما وحسرة ، وينحدر الى قلبه ، فلا يزيد الا شقاء وخيبة

• • •

« وما أكثر هؤلاء الاشقياء ، طحنتهم الحياة تحت أضرارها ،
وأبليتهم بقسوة أقدارها ، والتهمتهم بوهيج نيرانها . حتى تركتهم أجساما
نحيلة ، كادت الضلوع أن تشكى فيها ، وكادت هى أن لاتتحمل شكواها
وياليتها إذ ذاك سكنت وكفت أذاها وانما عمدت الى هذه الاشباح
فخلعت قلوبها منها ، لتعيش من غير شعور ولا حساسية ولتكون
مثالا لسفن البحار التى لا دفاف لها .

« لقد حولتهم الى أشخاص ، ظفروا من الانسان برسمه ، وإن كانوا عنه بعيدين . فاذا رأيت ثم رأيت عضلات ، بلاها الهم ، وجياها غضبتها التكببات ، وظهورا قوستها المصائب ، وعقولا طاشت بها عواصف الأحزان ، وعواطف حجرتها القسوة ، ونفوسا ملاءها اليأس فواستولى عليها بعوامله الفتاكة ، وسموهه المهاسكة ، وحركات منبعها الدليل على الحياة ، والغرض منها مسابقة المقسدير .

• • •

« هؤلاء هم أبناء الحياة المنكوبون .

« كأن الله سبحانه أراد أن يرينا دليلا على البعث من طريق آخر فخلق لنا هؤلاء ، لكي يبين ويوضح أن في هذه الدنيا رجالا يولدون أحياء ويشبون أحياء ثم يموتون وهم أحياء ، وقد يحيون وهم أحياء .

« * »

« لا تدري ، أتقف منهم موقف الرثاء والاشفاق ، أم تقف من الحياة التي فيهم ، موقف الرثاء والاشفاق .
« ولسكنهم ، هم المحتاجون إلى الرثاء ، والمشفون على الهلاك ، والمحرومون من السعادة :

• • •

« فلئن كانوا قبورا لما فيهم من حياة ، فأنهم سيموتون ويذهبون وهي تبعث في أجسام غيرهم من جديد .

• • •

« إنهم خطوط الشقاء ، نقشها في السكون ، وأحيائها هؤلاء ،
ليكونوا بجمالتهم دليلا على أن الشقاء له ثلاث أرباع الحياة :
وكان الحياة قالت لهم ، سأमित فيكم بقدر ما أحييتكم من خطوط
الشقاء ، ، ،

• • •

« ضربات القدر تعمل عملها في كل آواناتها ، وتنفذ ما تعترمه من
خير الحياة وشرها ، وتقدم على كل شيء ، من غير أن تخاف من شيء
لأنها كل شيء . ولم تتغير ، ولن تتغير ، لأنه تنزيل من حكيم حميد ،
وأنزل الله في شأنه ، ما يبدل القول لدى ، وما أنا بظلام للعبيد ،
ولعل مرجع ذلك كله ، أن في خيره الخير ، وفي شره الخير ،
آمن الناس بذلك أو لم يؤمنوا ، جزعوا أو اطمأنوا ، فهو حين
ينفذ مشيئته من ذلك ، مستقر له ، لأنه طبعه وديده ، ولذا كان غالب
أسراره خفية دقيقة . لأنها من غير شك ستظهر ، ولأنه لا يهمل
غوغاء الناس ، ولا ثرائرهم ، لأن القسم الذي ينازعه من الأرض ،
وهو من السماء ، فله قوة الأعلى ، واطمئنان المستحيل ..

• • •

« سر محتجب ، أشبه شيء بالطائر ، ينتقل بك من مكان الى آخر
وتعملو أنت لشنخفض ، وبالكس ، ولكن الطائر حين يحمل .
يكون ما يحمله بين رجليه ، أما هو فيطوف بك على طرف من أطراف

أجنحته ، فإن قمعت بذلك سلمت وبجوت ، وإن هزأت أو سخرت
وضعت بين خفاياه ، فلا تحس إلا وأنت كالطعام المهضوم مضغه ،
ينزل إلى المعده وهى جوعى ..

• • •

« لو كنت الرجل الشهم البطل ، الذى ذاع صيته ، وهز السكون
صوته ، ثم أقبل عليك طفل مدلل ، لا يحسن النطق ، ولا يقوى
على المشى ، وأراد مع ذلك أن يهزأ بك ، ويقدم لك ما يسيئك ،
ألا تضحك وتعجب فى وقت واحد ، وتهتف ، العقل كل الإنسان
ويرى الطفل سرورك الظاهرى ، فيزداد فى إيذائه ، حتى اذا أردت
أن تسكته ، لطمته بطرف يدك من غير معاناة جهد ، ولا مبالاة
بشئ ، هكذا مثلك أنت والقدر ، والفرق الوحيد ، أن لطمتك
تبكى ، ولطمته تجتذك من أصلك ، ،

• • •

آه ، لو عمل البشر ، على أنهم بشر ، ،
ميكونون النور الذى لا يشعر بنفسه ، فيزداد فى الحسن ، وينشر
ضوءه ، ويعم نفعه ، ويكون فخره أنه من البشر .

* * *

« ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام : والبحر يمده من بعده
سبعة أبحر . ما نفد كلمات الله . لأنها مادة الحياة التى لا تنفد .

وأصلها الذي لا يزول . ومنبعها الذي لا ينفذ ، وإذا فسوى هذا
سيمحى ويزول . ويصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

* * *

« ومن هنا كانت الحياة المتصلة بالإنسان في تغيير دائم ، وتبدل
مستمر ، فلا تبقى على شقاء ، ولا تدوم له سعادة ، لأن التغيير دليل
الفناء ، ومن قديم قيل ، لا يجتمع في شيء واحد الزوال والبقاء

...

« ما أروع الرجل يحمل هذه الحقيقة نصب عينيه . ومراة قلبه ،
وقدام عقله ، ثم يعمل على مفهومها ، ويسير على مدلولها ، فيصمد
للحادثة أيا كانت ، ويواجه الثابتة مهما ثقلت ، ويتلقاها بحنانها الهاديء
وعزيمة تتكسر عليها الصخور ، وتلاطم عليها الأمواج ، وهي راسخة
رسوخ الطود الأشم ، لا يتزعزع ، وإن فدح الخطب ، وأدلتهم
الأمم . وملكت الشدائد ، ولا يتململ ، وإن صرخت الأيام صرختها
وأرسل الدهر مفزعاته .

...

« إنه وقت ذاك يكون ابن الصديق ، وتلميذ الثبات البار ،
وصورة الطمأنينة الفذة ومثال البطولة النادرة ، وإنه ليكون إلى مادة
المقادير ، أقرب منه إلى مادة الحياة

« حرام على الناس أن يطلبوا الإصلاح من مواضع الفساد ،

وأن يستلهموا البقاء من دائرة الزوال ، وأن يريدوا الخلد ، في دار
الغرور .

...

« آمالٌ دنيا يريدون تحقيقها ، وأمانى واهية ، يذهبون وراءها ،
وخيوط من العنكبوت ، يتعلقون بها ، وأحلام كليها ، يشغفون
بتحقيقها ، ويصرفون في ذلك الغالى والنفيس ، وهم يعلمون أن كل هذا
زخرف باطل ، اذا رآته العين » انحجب عنه القلب

...

« ماذا نقول ، وماذا يكتب القلم ؟

المجموع غاو ، والجميع مضطرب ، وهل الإنسان الا ضميره ،
وكيف يقر الضمير والنار مشتعلة ، والدمار يرسل جيوشه ، والانهار
ينشر جرائمه ، والأرض تحفر حفرها ، والحياة تستنقص أجلها ،
والجوارح تستغيث ولا مغيث ، وتستنجد ولا منجد ، والظلام يقبل
بكابوسه ، والغشاوات تعمى البصر ، والجهل يرعد ويدوى ، والسماء
تنزل اللعنات والسخط ، والناس قارون لهذا وساكنون ؟

« اذا دخل الانسان النار فعذب ، كان من المألوف عليه أن يعذب
ولكنه اذا عذب في النعيم ، كان هذا من الغرابة بحيث لا تكاد تصدق .
وإن عذاب الانسان في حياته ، وعذاب الضمير في جسمه ، من هذا
القييل ، فهو في الواقع يصطلى بنارين

« لقد غرنا زخرف الحياة ومتاعها ، وزين لنا الانغماس في الهوى
وحب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة ، فطمست بصائرنا وملئت نفوسنا بحب التوافه والترهات ،
والخضوع للغريزة ، حتى تركتنا حقيقة الحياة ، وظللنا ظواهرها ،
حتى كادت قلوبنا أن تنتقل من أمكتها ، وسخرت نفوسنا من ذات
نفسها . !

...

« لأن كنا حاذقين وماهرين ، فإنما لأننا نقضنا القاعدة التي تقول
الولد سرُّ أبيه ، فأبأونا كانوا من الدنيا . كهي أمام الأقدار ، ونحن
فنيينا فيها حتى صرنا معنى من معانيها ، تحركنا بأشارتها ، وتخفينا
بكلمتها

« كأنها تقول لنا ، اما أن ترضوا بما أنتم فيه ، واما أن أعاقبكم
عقابين عقاب عقوقكم لأبائكم ، وعقوقكم لطاعتي ؛ وجزاء
الأولى عدم انتفاعكم بحياتكم ، وجزاء الثانية لعرب الغير بكم
» وجزاء سيئة سيئة مثلها ، وكما تدين تدان ..

« أيتها الحياة ، رفقا بنا ، وعظفا علينا ، فلقد أظلم اليأس قلوبنا
ومزق أحشائنا ، وقطع أنفاسنا ..

« ونحن اذ نكون سعداء . يحيا فينا اسمك ، وتتمثل فينا معانيك .

« * »

« ما أحوجنا إلى أن نفهم الحياة بمعناها الحق . ونعاملها المعاملة
الحقة . فنكسبها الكسب الحق . وننتفع بها الانتفاع الحق . فنعيش
ونمرح في ميدان الحق . حتى يرضى عنا الحق . ونكون بذلك من
السعداء الآمنين ..



الراية المنكسة

٥٦٥٥٥٥

« سبحانك ، يامن اختصصت بهذه الكلمة ياذا الجلال والاكرام
كل الكون آيتك ، وجميع الورى دليل عليك ، وأبت قدرتك
إلا أن ترينا آثارها فى أشياء أخرى .

• • •

« فجعلت لنا من الشجر الأخضر ناراً ، فاذا نحن نوقدمنه ونشعل
وأوجدت لنا فى كلمة الحق . الحلاوة الحلوة ، والمرارة المرة ،
وأخرجت لنا من الشر المحض الخير الخالص ، ومن الخير الخالص
الشر المحض ، وأنبتت فى الأرض أناساً لا يعرفون إلا الفضيلة ومعناها
وأناساً يرون كأنها لغيرهم نزلت ، فهم تاركونها وهاجرون لها ،
وجعلت الفريقين ، كشتقلين فى كفتى ميزان ، نسبة الخير للشر فيها
كنسبة الواحد للمائة ، والواحد كثير .

• • •

« ومسحت بيدها على الإسلام ، فكان الحى النابض ، ومرت
بيدها عليه ، فأصبح المستريح الهاجع ، ثم ألقت اليه :
« أيها الإسلام . لا تبتئس بما أصابك : ولا تحزن لما ألم بك :
فأنت فى ذاتك طاهر مطهر . تحمل المجد : ولا تلد إلا الفضائل :

« كل العظمة معانيك : ونبع السلم منك : وجمال النور : قبس من إلهامك : وجلاله من جلالك .

...

« ويكفيك أنك الدين المختار عند الله : وأنه سبحانه : لا يرضى من عباده إلا الذين حققوا مغزى اسمك : وطبقوه على ظواهرهم وخفياهم . .

« فلا يهمنّ جوهرك شيء : مثله مثل الوردية : كلها هي العيون عنها : كلها تلالآت واذهرت : فاذا اقتطفت : فهي صانعة باستحيائها ما يجعل قاطفها يتعافل عما في باطنها : فاذا بلغ شغفه أن يفنّسها : ارتعشت ولسان حالها يصرخ : حفظك الله إن حفظتني : وضعك إن ضعيتني :

« فمهما يسرف الزمن في تعاميه عنك . ويبعد السفر للبعد عن طريقك . ويوجد الحواجز بينك وبينه : فلا تعرّاه اهتماما . ولا تتبعه فكرياً . فانك كما عرفت .

« ولكن أهلك وأدعياءك : لا بارك الله فيهم : هم الذين آذوك برجسهم : وعكروا صفاءك بترابهم : وألحقوا بمعناك ظلمتهم .

« وأوجدوا في يهرك غشاوتهم .

* * *

« ومع هذا كله : فلا تقطع شعاع رجائك : ولا تسكرهنّ نفسك
على أن تهجر الأمل : فلقد قيل . الحرب سجال . والآيام دول .

* * *

« تباركت وتعاليت . يامن عز طائعك . وهلك عاصيك .
« لم ترض الشر ولكنك أردته . ولم تمنع السوء من وجودك :
ولكنك حرمته . وخلقنت أبغض شيء إليك : وجعلته عالماً مستقلاً .
ووجوداً وحده . وكان عقاب بغضك له أن كان فانياً حقيراً . زائلاً
مهيناً . يذهب أكثر خصائصه . ولا يخلد إلا ما كان خيراً أو اتصل
بالخير ...

٥٥٥

« وأبقيت الشيطان بعد أن كارك : وأبدل وعيدك بوعيده .
لتنبت من كل ذلك حكمتك الجليلة : وتبرز قدرتك السامية . ونطلع
آثار جلالك : كلها وضح الصبح وأظلم المساء .

٥٥٥

« فما خلقت من بغضته لذاته . وما أمهلت إبليس لأنه يستحقه
فحسب . وإنما ليعرف من يحافظ على إنسانيته : ممن ينحط الى حيوانيته

ويتضح الفرق بين الخبيث والطيب . ويلعب سنا الحق : وان قلّ أهله
ويخفت ريق الباطل المزيف : وإن كثر متبعوه : وفي بعض هذا
ما يكلّ اللسان عن تبيانها . ويعجز الفاني عن تصويره .

• • •

ثم أوجدت الدائرة السكّية لجميع هذا : وهو الانسان .

• • •

وأضئ آدم قدرك : فخالفك : فهبط الى الأرض : لينسل
الذراري والبنين : ثم أرسلت رسلك من أبنائه إلى أبنائه : لكي تبين
أن ابن آدم قد يعلو ويعلو . حتى تقتبس الطهارة منه : ويكون نوراً
من لحم ودم : وبهذا يتأهل لأن يتصل بالله : وتلقى عليه أوامره :
ويطلب منه تنفيذها .

وقد يسفل ويسفل حتى تسكون بينك وبينه واسطة من شاكلته :
وحق يكون صورة للقبح : وعنوانا للرديلة : وبذلك يكون مكان
غضبك : ومثالا لقهرك . وقد كان أولى له ثم أولى أن يكون رمز
رضاك المفسر بكسبه الخير . ونفعه الجليل .

• • •

ثم شئت وشامت أقدارك أن يكون سيدنا محمد برزة المخلوقين
وخاتم المرسلين . وأن يكون دينه الاسلام : وأن نكون نحن من أمته

« فلما أرق جمالك . وما أنسى حكمتك . وما أجل آيات قدرتك .

...

« لانستطيع أن نمنع اتصال حلقة الأديان : بعضها ببعض :
وقديمها بجديتها : فهذا شيء حققته الوقائع : وأظهرته الدلائل . وإنما
يمكننا أن نقول .

إن الاسلام عظم شأنه : ونبل معناه : وحلّ قدره : وفاقت
دساتيره : حتى أنه يستطيع أحد أن يجهر باسمه المباشر : إلا من كانت
العظمة رداءه المباشر : رداءه الذى كان كاسيا لصمت صاحبه : ونظرت
ومكنون صوته : ومدلول حركاته . ومفهوم معانيه . فكان السكوت لها
وكان البرهان الحى عليها . ألا وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

...

« وهنا الحيرة التى ترفعك وتخفضك : وتطفو بك حتى تظن
النجاة : وترسب : حتى تؤكد الغرق . !
« فهل تدري : ؟ أكان الاسلام دليلا على عظمة محمد : أم كان
محمد دليلا على عظمة الاسلام ؟

...

« ولئن قلت : إن محمداً أول مخلوق : وسيد كل كائن : فهلا علمت
بأنه لم ينل هذا كله ولم يرق إلى سبع سمواته إلا بعد أن هياه الله

وصاعه : لأن يحقق معنى الاسلام : حتى يكون كما أنزل من فوق سبع
سماواته ؟؟

...

« وهل كان رهنه للدرع : وطيه الأيام بالجوع : وتحمله حرقة
الظما : وحزنه العميق : وجهاده المضني : إلا دليلا على ذلك : وتحقيقا
لمفهومه : وكشفا لغامضه .

...

« وهل تعلم أن تأخير النبي إلى هذا الحد : ليكون من قبل روعة
الياء في ذاتها : أم لأنها تذكر بالمبدأ الأول وهو الله سبحانه .. ؟

...

« آيات تشابهت . فلا يعلم تأويلها إلا الله .

...

« إذا تبدد الجهل واحت آثاره : وانتهت آخر انفاسه . أقبل
المصدر الحقيقي لنور العلم : لأن اشعته هي التي اذهبت الجهل وآثاره
كالليل يزول ظلامه شيئا فشيئا : يرسل الشمس : فاذا انتهى عن
آخره ظهرت هي كلها : وكذلك كان شأن الجاهلية وروعة الاسلام

...

« وطلع الاسلام من دنياه : فبدد برعشاته غشاوة السكون التي

بجهدت حتى تكونت سحابا يطر السكبرياء على عظماء قريش : فيأنفون
من غيرهم . ويمطر الظلم على أفرادهم . فيحاربون للحرب . ويكرهون
السلم للسلم . وينزل الركود على العقول . فتستحسن عبادة الأصنام :
ويرسل قطرات سوداء من الغرور : فلا تصل بعضهم . حتى يجهروا
أنهم لغناهم وحسبهم : أولى من محمد اليتيم ورسالته !

* * *

« وما دام الله قد اختاره هو من بينهم : وفضله عليهم . فسيعلونه
وربه الحرب التي لا تبقى ولا تذر . وسيجاهونه بهذه السيوف التي
لا يكون همها إلا خطف اعناق البشر . تحديا منهم وبغضا لرب
القضاء والقدر .

* * *

« عقول كأنها الصخور الجلامد : وأوهام تكاثفت : فزادتها
صلابة على صلابتها : وشعور تحجر فكان ثالوثا مكينا : وإن من
الحجارة لما يتفجر منه الاتهار : وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وإن منها لما يهبط من خشية الله :

* * *

« ولكن هذا الثالوث لا يخرج إلا الأذى : ولا يتفجر منه إلا
شبح القسوة : لأنه لا يعرف ما هي الحشية : حتى يهبط منها :

* * *

« وتكون هذا كله : على هيئة امتعاض في قلب النبوة الكبير :
صوره القرآن بقوله « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا » : وأزاله بقوله : « إنك لا تهدي من أحببت :
ولكن الله يهدي من يشاء : وهو أعلم بالمهتدين » :

« قد تشرب الكأس لازالة الغصة : وقد يكون من السم الدواء
وقد يكون الحرب فيه الشفاء : فسالت السيوف من أغمداها : وكل
اسعيد لتحقيق مطالبه :

« أما سيف المؤمنين فكان عقيدتهم في ربهم : وإيمانهم بدينهم :
« واستمدادهم من نبيهم ثم قطعة من الحديد فحسب . ولكن سيف
المشركين : كان ضخامة ادعائهم : وصوله عظمتهم : وسلطة غرورهم :
ثم الجرم الغفير : من الأسلحة الوافرة : والذهب النضير :

« ولئن كانت كل نتيجة تابعة لمقدمتها : فإن العقل هنا إما أن
لا يسلم بهذه القاعدة : وإما أن يجار : فلا يعرف النتيجة من المقدمة :

« ومن الذي لا يستولى عليه العجب : عندما يعلم أن جيوش

الكفار بعديدها انهارت قواها : ساعة تقابلها مع جيش المسلمين
بعقائدهم :

...

«ولكن من ذا الذي يعارض أن النبي محمدا لم يساوه أحد ممن
أسلم أو كفر ؟»

• • •

«ذالكم النبي الذي علمه الله : كيف يطرق الحديد ويلينه : وكيف
يصيد الوحش ويروضه : وكيف يستولى على النفوس : حتى تنفق في
حبه المال والبنين : وتبذل في سبيله المهج والأرواح :
والذي استطاع أن يخاطب رجال الكفرة الأرضية جمعا : إذا
اتبعتموني : ضمننت لكم السلامة عند الله : وإذا خالفتموني : فلن
أهدأ عن حربكم حتى ألقى الله ::»

• • •

«ثم يرفع أكفنه إلى السماء ويدعو . «اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون»

• • •

« فلا تعجب إن أقام في خمس قرن : دولته لا تناب إلا الله وحده
ولا تخاف إلا منه :

أما الحروب فهم فرسانها : وأما الأرض فهم آسائها : وأما

الناس : فهم وحدثهم الذين عرفوا كيف يخضعونهم . وينفذون الى
أعماقهم . اما بالدين : وإما بالسيف :

• • •

« ويعلم الله ويشهد أن ثانيهم ما كان أحد من أولهم الذى كان
يتمثل فى خلقهم : وسحر روحانيتهم : وقوة هدوءهم :

• • •

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً : وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاماً ..

• • •

« إن المؤمن حين تقوى فيه مراقبة ربه . ويستأسد ضميره فى
قراراته : يصبح الرجل الذى لا يصبح إلا لأرادة خالقه : ولا يرتعد
إلا من خشيته : ولولا أنه لم يقو إلا بها : لما خاف منها :

• • •

« وهل نهى المسلمون عن رفع أصواتهم فوق صوت النبى الا
لأنه كان مكسياً بخشية الله . وملوا بها . وصورة لحنانها وقوتها ؟؟

• • •

« فأتى رسول الله فى قبرك . ولتكن آمناً مطمئناً . فأن صحابتك

سيكونون أمناء من بعدك . وسينفذون ما عاهدت به اليهم : وسيعملون
على تخليد آثار إنسانيتك العليا . وسيطيعون شريعتك على كل شير
من الأرض . حتى يتبع أميرهم السحابة بنظرته ويقول لها ..
« شرقى أو غربى . فأن خراجك سيأتينى .. »

. . .

« خلاصة من المعاني : تتجمع وتتجسد . فتؤدى وظيفتها :
وتبعث للكون خدماتها . ثم تبين له أنها لا تريد منه شكرا ولا جزاء
فتعرج الى ربها راضية مرضية . وتصعد الى عالمها لتطلب جزاءها
من وسع كل شيء علما . ولم يضع عنده ثوب من أحسن عملا .. »

. . .

جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار . خالدين
فيها أبدا : رضى الله عنهم ورضوا عنه : ذلك لمن حشى ربه ..

* * *

« إنهم لمجمع الفخار لنا فى حياتهم وبعثهم ...
أما الحياة فلها قدموه فيها : ولما بنوه وشيدوا أركانه :
وأما الممات : فهو الفخر لنا عند من سبقنا من الأمم . فإذا كانوا
هم عاشوا طويلا : فلم يخلدوا مآثر أو أعمالا : تساوى الذى قام به

هؤلاء الأبطال من الآثار والمشروعات .

* * *

« عجائب الأقدار تضيف جلالها وروحها على العظيم الحق :
فتكسبه القوة والروعة حياً : وتحيطه بهال الذكرى : وعظمة
الخلود ميتاً :

* * *

« وهل يستوى الذليل المهيمن : المستضعف . المغلوب على أمره
بالذى يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم . .

* * *

« مثل الفريقين كالأعمى والأصم . والبصير والسميع . هل يستويان
مثلاً . أفلا تذكرن ؟ .

. . .

« وتطوى صفحات التاريخ هذه الأسطر التي كانت كلماتها عميقة :
لأن كلا منها . إما رمز . أو كناية . وإما ضمير . أو نقطة أرادت أن
تمثل الخلاصة فكاتمتها . .

. . .

« وهل أمثال عمر إلا كناية عن الحق وجلاله . وهل أشباه خالد

إلا رمز للخلود وعظمته : وهل أصناف أبي بكر إلا ضمير فيه عمق
الحنين : وقوة الضمير . وهل شاكلة ابن أبي طالب إلا عنوان على
طهارة الاسلام . وقوة الفراسة . وبعد النظر ؟ .

.

« وكان جمع هؤلاء ما ظهروا كل الظهور : إلا ليكتفى فيما بعد
بكناياتهم : وإلا لأنهم ألهموا أن خلفهم سيختزل الفضائل . ويختصر
السكاليات الحققة . حتى يشيروا إليها بكناياتها . فيكونون هم من جملة
هذه الكنايات ..

.

« لا أدري : أمن الروعة أن يتجمع العظماء مرة واحدة . ثم
يذهبوا مرة واحدة ؟ أم هي أن يكون بين العظيم والعظيم رجل حقير
فتوزع خساسته على هذين العنصرين . لعل الله ينقله . بهما من محيطه
إلى محيطا ؟ فتحدد المعاني كلها بليت . ؟

.

« ومن أسرار القدر ما يظهر . ومنها ما يختفي . وطلب منا أن
نؤمن بالخالين . وتلك هي آثار (الدلال الإسلامي)

.

« ولكن الإنسانية الحققة . يحافظ أولها على آخرها .

. . .

« يسأل عمر : لماذا قطعت شجرة الرضوان : فيقول . مخافة أن يعبدوها من بعدنا :

ويجذب المسلمون : فيأْتدم الزيت : فتألم بطنه : فيقسم : لن تؤدنى السمن حتى يخلص المسلمون . .

« ولو نوقش في ذلك لقال : لأننا القدوة لمن بعدنا . .

. . .

كأنما ينظو بعين الغيب الى أن هناك من المسلمين . من يشوه الحقائق بزروه : ويقلبها بهتانه . ويهضم الإسلام بقوانينه ودساتيره وواجباته .

. . .

« ولعمرى : انها للقراسة التي يحدثنا الرسول عنها فيقول : « اتقوا فراسة المؤمن » .

. . .

« يا حسرة على الإسلام اليوم : لقد فقد مكاتبه بين ذويه وأتباعه إن ظهر : قالوا : مدنية بليت . ومعالم درست . وقانون وحشى (١) .

(١) مثلما قاله بعض الناس في إيجابه قطع اليد في السرقة .

لا يليق بنا . ولا نستطيع إستساغته ..
وإن اختفى . نسبنا إليه الضعف والمهانة . وأحقوا به ذلهم وعارهم
وردوا إليه مصدر خيبتهم . وحسرتهم .

...

يا ويلنا من الحقيقة . ويا ويل الحقيقة منا .
لقد ضعفت النفوس أمام ضمائرنا . فأرادت أن تحقق معنى
أشخاصها . فاعتنقت الحرية الأباحية لتظهر أنها من القوة بحيث
لا يسيطر عليها أحد . وما درت أنها بهذا مغللة بسلاسل شهواتها .
مقيدة بسلطانها .

...

وإننا لو نزحنا البحيرة من عمقها . فبأى شيء تروع؟ ولو أخذت
من العصار صانها . فبأى شيء تؤثر . ولو ضعفت النفوس أمام
ضمائرنا فبأى شيء تنتظر أن تحيا كغيرها . وتعيش كسواها؟؟

...

يا أيتها الراية المنكسرة .

لك الله أولا ووسطا وآخرا .

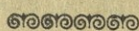
فسليه بطهارتك وحيويتك وإخلاصك . أن يفرح كربتك .
ويقبض لك من يتنشلك من ظلمات الحياة . وينصبك معتدلة عظيمة

* * *

«ويا أيها العقلاء من المسلمين .
أنتم بذواتكم نقاط في هذه الحياة .
وبأسلامكم كل هذه الحياة ... نخنوعكم لما أتم فيه ظلم لحقيقتكم .
وظلم للاسلام . وظلم لنفوسكم .



القدر الغريب



« هو إله الطبيعة وسحرها . وكهر باؤها وسر بهجتها .. »

...

« به تستطيع الطبيعة أن تتدلل وتستبي وتتصبى .. فتظهر في ثوبها المزركش الجميل . وتترقق في بشرتها الناعمة الرخية . وتسحر بلعان بريقها الوضاء وتستهوئ بمفاتنها الزاهية الرفافة .. »

...

« وبقوته يستوى لها أن تنادى فيهرع لندائها . وتشير فيتسابق لأشارتها . فتنتقي من تشاء . فتأسره . فتملسه . ثم تقول له .
« ها هنا المقر . فلا تخرج من غير إذن . »

...

« وعرشه لا حدود له . لأنه من نور . وقوائمه جهات الكون الأربع . لأنها شعاب القلب .
ووطاءته شيء بين الحقيقة والخيال . أو بين الألم والأمل . لأنها أمانيه ووعوده .. »

...

« وإسمه الحب . قاهر القوى . وسلطان الأقدار . وضحك
العيون وبكاؤها . وكأن الحاء فيه رمز لكلمة سلم . والباء رمز لكلمة
(إعمل عاشت) أنظر أنهما حرفان تجمعا : فزلزلت منهما الأرض
زلزالها . واضطربت الأفئدة اضطرابها . لشعر الدنيا أن قيم الأشياء
ليست في ظواهرها .

* * *

« وفي تسمية الحب بهما . شيء من الجور الشديد : وشيء من
الانصاف الجميل . ففي وضعنا له هذه الكلمة القصيرة . بخسناه قدره
ونقصناه حقه . وما أجدره بما فيه : من عمق المعاني . وبعد الغور .
أن لو وضعت اللغة له كلمة من عشرين أو ثلاثين حرفا ولأننا بهذا
الوضع نفسه أثبتنا له عجزنا أمامه . ووقوفنا حيارى إزاء جبروته
وملكوته . واستسلامنا لأساره وقيادته . ولسان حالنا يقول له .
سموت عنا بذاتك : وترفعت عنا بكنهك . حتى أننا لم نستطع أن
نعرف منك إلا بمقدار هذين الحرفين .

• • •

« الحب وما أدراك ما الحب . ؟ إنه نقطة المشاكل المعقدة . ومنبع
الخير ومصبا . وأسلوب الضمير في خفائه . وكيف لا يكون كذلك
والمرأة لغز الحياة الأول ومشكلاتها الكبرى . وهي أحد مطلبيه .

« وإنه المهم الذى لا يدرك ، والباطن الذى لا يوصل اليه والحقيقة التى لا تعرف بذاتها : ولسكن : بشواهدها : ونتائجها . وإنه المعبد الرهيب : لا يلججه من يلججه : إلا إذا خلع ما عليه من ثياب . ولبس ما جعله هو من ثياب وإنه زجاجة انسكبت فيها الطبيعة بأفراحها وتراحها وسعادتها وآلامها . ولذلك . ما ألد سعادته . وما أمر آلامه .

* * *

« حين تهب العواصف : لا تشير إلا الغبار : وحين يهيج البحر لا يكون إلا تلاطم الأمواج . وحين يثور الوحش . يرتفع زئيره : ويرجف من يسمعه : ولسكن ! آه : حين يهب الحب : يجعل القلوب غباراً . ثم يمزق أحشاءها . فيتلاطم بعضها مع بعض . فيبقى الإنسان بلا قلب . فيرتجف من الهمسة : ويقشعر من الحركة : وينتفض من النظرة : ويذبل من الهجران . وبذلك تفوق قوته وحده : قوى العاصفة والبحر والوحش . أما حين يهدأ ويسكن . ثم يقبل : فيأخذ بته . .

يأبى الحب حينئذ أن يذهب محبه : ولو بقى من حوله الناس جميعاً

* * *

« قدر أبى إلا أن يكون غريباً : ومعنى رأى من الحتم أن يكون عجيباً » .

« يقولون : إن الروح عندما دخلت جسم الإنسان : ابتدأت دخوله من الأخص إلى الرأس : وكأما أراد الحب أن يمثل الروح فدخل الجسم من الرأس إلى الأخص . ولعل أصدق دليل على هذا أن أول ما يموت في جسم الإنسان أصابع رجليه . أما أول ما يموت في جسم الحب . فهو عقله وعاطفته . فلا تحسبن أن مذهبات العقل من الجسم تنحصر في الخمر والنوم والجنون . فحسب لأن هناك شيئاً يخطف العقل اختطافاً . ويستلبه استلاباً . وتكون حياً ويقظاً ومتحركاً أتدرى ماهو . انه المحبوب يهجرك ويقلاك : ويحب غيرك .

• • •

« يرق الحنان ويرق : حتى يتولد منه الحب . وتتجمع السطوة وتتجمع . حتى تكون نتيجة قسوته . ثم تغلى هذه السطوة في ذاتها حتى تبلغ درجة المائة : وهنا تكون فرقة المحبين .

• • •

« إن الرجل إذا سار في الليل البهيم : وتابع المشى في حالك الظلام ترقب جهده : بزوغ القمر من سمائه : وأرسال أشعته إليه . فإذا أطل عليه : لمح فيه سعادته : وأبصر فيه تحقق آماله : وصرف إليه جميع فكره . وناجاه بكل قلبه . فإذا أقل تولدت عنده الحسرة الالئمة وترك قلبه قطعاً قطعاً : ودارت به الهواجس : ويجمد في مكانه . حتى

يكاد يكون صورة لبعض الظلام الذى حوله . وهكذا المحب : حين تشرق عليه حسناؤه : وحين تختفى عنه .

« إن فى الحب لصفات من الإله العلى الكبير : فهو الرؤوف الرحيم . الكريم المعطاء : مادام المحبون فى أعلى درجات الطهر والبراءة وأسمى مراتب العفة والنزاهة . فإذا حادوا عن هذه الطريق : فهو المنتقم الجبار . يشعلها عليهم حربا هو جاء : وناولوا حمامية : من العداوة والبغضاء : والكراميه والشحناء .

« إذا خطر فى ثيابه : قال للتراب . أسكن : فما أنا بالذى تعلق به »

« وفيه لذة تجعل انحب يذوب فيه ذوبانا . فيرهف له ذوقه : ويلطف شعوره : ويناجيه بجميع احساساته ومشاعره : ويوقف عليه جميع جوارحه وأفكاره . فإن أشار اليه هرع الى وحيه . واستجاب لندائه . وسابق الأقدار فى اجابته . وان أظهر له عين الرضا . ترك نفسه فى أحضانه . تنساب فيها انسيابا . وترتشف منها ارتشافا . ويستوى لديه فى هذه الآونات : كلمة الشقاء مع كلمة السعادة . وكلمة الهلاك مع كلمة النجاة ، مادام فى سبيله ومن أجله . وفيه رهبة وجلالة

تجعلان عاشقه يشفق منه : ويرتعد له . ويحقد عليه .
ها هو ذا يريد أن يذوق كأسه فيحجم . ولكنه يختلس النظرات
اليها على كשב . وما يزال يفتح عيناه في سمانه . ويسد أخرى . حتى
تتلاقى كهرباؤه بشعاع هذه القين . فتجذبها . فيقع في شباكها . ويرزح
تحت أغلاله . ولسان حاله يقول .

« ولو كان هناك أعظم سعادة في الوجود ، لكان الحب
ولو كان هناك أعظم شقاء . لكان الحب .

* * *

« تالله الذي لا اله الا هو .

إن الفريق حين يكابر الفرق ، يكون أخف من الحب الذي
يكابر الحب ، لحظات رهيبية ، تمر بالاول ، ثم تتداركه رحمة ربه .
ويسلم روحه ، ويسكن ، يابؤس الثاني ، كل حياته قلق وهلع ، وجميع
أوقاته أنين وألم ، فان نظر ، فشوك الدموع يؤلم خده ، وان فكر
فأبرة الآلام تحز قلبه ، وان هجر ، فسلطان الهموم ينتزع لبه

* * *

« الشمس في السماء ، ملكتها وهيبتها
والحب على الأرض ، ملكها وروعها
وهي تمشي في عالمها بقانون واحد

أما هو فيمشى في عالمه بقانونين ، قانون المحب ومحبه
وهى حياة النفس وفائدة الأجسام ، ولكنه رى العواطف
وهدى العيون ، وسرور القلب ، وغذاء الروح ، وتفسير السعادة
لأنها كنهاته

« جمال السكون إنسانه : وإنسانه بقلبه : وقلبه بلذته وانتعاشه :
ولن يتفتح القلب : ويضطرب : إلا إذا فكر في الحب :
وتمتع بالحب : وإذا : فهو جمال السكون : وزينة الطبيعة :

« والرجل ينظر إلى الوردة : فيشتم منها عبير طيبا : ويرى فيها
منظر أرائعا . فإذا أضفى عليه الحب جلاله : رأى في الوردة معاني حياته
ويعلم : كما أن الوردة تشرق برؤية الماء وتذيل إذا « فقدته : فكذلك
هو في مالتى إشراق الحب وأقوله : « ويبصر في احمرارها زوال الأشياء
وفناءها : ويستوحى من تدللها أن الإنسان يجب عليه أن يحرص على
أوقات سعادته : ولا يضيعها هباء منثوراً . ويلح في صمتها أن القلب
البشرى : لا يكون قلبا : إلا إذا عرف كيف يواجه الخطوب : وكيف
يصمد أمام صدماتها ؟ .

وما أشبه عين المحب بالأداة الممغنطة : فهي لا تلتقط من الأشياء

إلا ما يتصل بها من جهة حبها : وما عداه : إما أن لا تنظر إليه بالمرّة
وأما أن تلهجه تحآ .

« لولاه لما عطف أب على ابن : ولا أطاع ابن أبا : ولا هنا مجتمع
إنساني بالحياة . ولا نادى شخص شخصا : عزيزي : حبيبي . بل .
ولولاه لا اختل نظام السكون وفسد .

« هو البلسم الشافي والداء العضال . وهو كلمة من الكلمات عند
من لم يذوقه . وقنبلة تنفجر وتحطم . عند أهله وذويه .

...

« في لذته ينسى العاشق كل شيء . وفي البغض تنهار قواه حتى تصبح
لا شيء . وهنا يعامله بكبريائه . ويجهجه بغطرسته . ويصب عليه العذاب
المر واللوعة القاتلة . « ويريد الإنسان أن يثأر ويظهر شموخه ،
ويتخلص . ويؤذي ، ولكن هيهات له ذلك . « ان الجنين عندما يتحرك
في بطن أمه . قد يثأر لنفسه بعض الشيء بأبذائه لها . وتولده لآلامها
ونكن المحب يثأر بأى شيء . « عزة الأقدار تراود الإنسان في بعض
الآحايين . وإنما الحب لا يعرف المراودة ولا يراها من الحكمة .
لأنها ليست من مادته . فهو حين يكون . يخاطب صاحبه . في خضوعك
ظفرك . وفي مكابرتك طردك . ولا وسط .

* * *

« وأما من جهة العشيق . فهو يركن الى الهجران ويطمئن اليه .
اطمئنانه بسواه وكلما رأى وشاهد فحول الآخر . وشدة اصفاره .
وكثرة بؤسه وزيادة آهاته . قر واستقر . فإذا رآه يبادل الوعيد .
ويعلن الحب وأهله . وينزل جام غضبه عليه . هداً واستراح . لأنه
يعلم أن هذا كله . اما جمره الهجر تتلظى في جسده . واما حب بعينه
من شاكلة أخرى . فياشقاه في حاله . ياشقاه في حاله .

...

« إذا أحبت فأحذف منك أول ماتحذف . كلمة أنا . فهي لاتنفق
وقوانين الحب وأعمد الى عاطفتك فاجعلها مشتعلة أبداً . يقظة دائماً .
لأن تياره شديد الحرارة . فإذا صادف منك استعداداً . تمشي معك
والا اضطربت أنت . لتخريب أسلاكك . وعدم اصلاحك لها .

...

« انه لعجب في كل شئيه .
يخلق من الظلمة البدر المكتمل . ويولد من اليأس بريق الأمل .
ويسقي من العلقم شراب العسل . ويجعل من السكون حرارة العمل .
فياله من سر عجيب . وهمام بطل .
« ويخرج من المحبوب . صورة هي المحيط وبقية الكون نقاط
عليه . أو دائرة من القمر : وجميع العالم نثرة من النجوم الزهر

حوله : أو قلباً وبنو الانسان سرايين جسم هذا القلب . « ومن هنا يكون المحبوب في نظر محبة : وان دمها أجمل مخلوف وأبهى انسان .

« . . »

« لعل السماء اذ نافست الأرض : لم تنازعها خلقه آدم فقط : ولا لفساد ذريته فحسب وانما لأنها عرفت أن الحب سيظلل بعضا من ذراريه : وحينئذ فيكون في الأرض شمس وأقمار وكواكب : تفوق شمسها وقمرها وكواكبها . ألا وهم الملائكة الأطهار المحبون .

* * *

« والانسان حين يجب : يكون ككرة أرضية : تحمل كرة أرضية مثلها : ويكون فيه هو وحده : زوابعها وعواصفهما : وجمالها وهيبتهما فإن هجر أو هجر : علم حقيقة نفسه الأصلية وتبين له أنه نقطة فوق هذه الكرة . فتثور نفسه ويغضب : لفقد أنه هذه القوة : وخسرانه تلك السيطرة . « وفي الواقع لهجرانه معشوقه الذي جعله كذلك

. . .

« الأرحمة للمحب : يقسو عليه الحب : فيجعل نومه سهادا : وكحله دموعا : وعقله جنونا : وغناؤه أنينا . « ألا حنانا له : وقتما يحرق ببصره : فلا يرى شيئا : فينعكس شرره المتطاير الى جسمه : فيلتهب التهابا : ويشتعل اشتعالا « ألا رثاء له . ينقض الحب عليه بسورته :

فيفرق بين جسمه ويبعد بين عينه وفاظرها .

المستحيل أمام العقل البشرى مستحيل : الا اذا أحب صاحبه . فما
يكون الا كلمة من حروف . بل تكون عنده أشهى من غيرها . لأنها
تحمل ماله الألم . وتبطن معاني المشقة والمصاعب . وما أحلى هذا في
نظر المحبين . وما أجمله عند العاشقين الوالدين .

. . .

« ما الشمس الا نظرة من نظراته وما البدر الا همسة من همساته
وما النور الا بسمه من بسماته . وما العطر . الا عبقه من نفحاته :
فكأنه جنة الآخرة . نشرت على الدنيا أريجها وحورها وفتنتها .

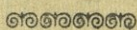
. . .

« يا ألفت السكون التي لا أول لها .

ويا ياء السكون التي لا آخر لها .

امتحننا حبك . وسحب من يحك . والعمل الذي يبلغنا حبك .

بسمته من النور



« هي تلسم الحرية : أرسلها النور من فيه المتلألئ : وثغره
المشرق البهيج :

وبعثها إلى الكون بعد أن ضمها بين حنايا شفثيه ضمة اللوعة :
ولمسها لمسة الحنان والرحمة : وقال لها :. إني أحبك لأنك مني : وسامية
سموًى وجوهرك من جوهرى :. ولذلك كنت بسمتى . وإني
أكبرك : لأنك تأبين الذل والانقياد وتسخرين بمن يرضون بالأدنى
من الأمور . ولذلك أطلقتك . وإني أخشاك : لأنك كالمعنى : إذا لم
يحرص الذهن عليه فرمته : وكالجمال : إذا لم يكرم : انزوى في تفافله
وكبريائه . وكالسعادة إذا لم يكدهح المجدون في نيلها : لا يستطيعون
الوصول إلى سماءها : ولذلك كنت علامة « سرورى » .



« ونزلت البسمة في ثوبها الفضفاض الرقيق وفي هيئتها المهيبة
الرهيبية : تحيط بها أشعة الضوء : وتغمرها هالة من نظرات النور :.
لو أبصرتها عين : لحسبت كأن نجوم السماء تدلت في عناقيد ذهبية
مرصعة : أو كأن لآلىء البحار : سثمت الخفاء : فبرزت في خيوط
سحرية رشيقة :

وأخذت البسمة تيمس يمنية : ويسرة : وتزدهى شرقا وغربا : ثم
نشرت ظلها وررفت بأجنحتها على دائرة الانسان : وكتبت : من كان
في كنف هذه الدائرة : فهو الحى حقا : والمتمتع حقا : والموجود حقا .
« وانعكست البسمة فى ذاتها : ورجمت إلى مصدرها الأول :
لتنحول إلى كلمة تملأ الفضاء : « وتهز الأرجاء : وتستطيع أن تقيد
ذويها بقيود وحدود : وإن كانت هى فوق الحدود والقيود .

وتحولت إلى كلمة : وبهذا خرجت من محيط الصمت : إلى عالم
لأفصاح والبيان وكانت كلمتها . « كل روح من نور : وكل حى فيه
روح : وكل إنسان حى : وإذا : فكل إنسان مشتمل على جزء من
النور : وما دام النور لا يحد بحدود : ولا يجرى عليه قانون : يجب
أن يمرح هذا الكائن الحى : فى جو صاف صفاه : ولا يتيسر له ذلك
لا إذا انغمس فى الحرية التى هى هذا النور . »

« ولعمري : لقد صدقت فى قولها : كما أنصفت فى صدقها :
فأن الرجل إذا لم يتصف بالحرية : وتمثل فى كل ما يصدر منه : فهو
الحى البعيد : البعيد عن معانى الحياة : لينغمس فى ظلماتها وجها لاتها .
وكأن قبضة التراب التى أنبتته : قالت له : لا تبرح غير هنا لأنك من
هنا . ولتكن فوقه بهيكلك . وتحت طبقا أمانيك وآمالك . ولتعلم
أن جسدك هو مكان فىك . فأذا كنت أناقيرا لما فىك من عظام .

فهو قبر لما فيك من حيوية البشر . وميزتك عن سواك . أن فكرتك لا تلد إلا حيث تموت . وأن عقلك لا يعرف من شخصك أكثر من اسمه . وأن بقيتك . معدة وأضراس وبلعوم موصل بين هذا وذاك .

« البدر وهو يلمع ويزهو . كأنه يثار من كوكب النهار . وغزاة الصبح . والوحش إذ يزأر ويصيح . كأنه يقول . « أيها السكون . قف عند حدك . فما أحب أن يتعدى على . والحب إذ يهيج ويشور . كأنه يعلن .

ياقوانين الحياة . لا تنصرف في دائرتي . من غير اذني والبحر إذ يضطرب ويفور . كأنه يمين ليس هناك سلطان كسلطاني ومن كذب : فليأت إلى ويتحداني :

وإذا كانت هذه الأشياء كلها . عالة على شجرة الانسان . فهلا كان أولى ثم أولى أن تقتبس هذه الشجرة من هذا كله . معاني قوتها وتستعملها في حدودها بعقلها ورويتها ؟ فتأخذ من قوة الوحش . صلابة العزم . وتأخذ من ثورة البحر . ضبط العاطقة وتأخذ من سلطة الحب . قهر النفس وتأخذ من إنارة البدر . إنارة القلب . ثم تنفث في هذا كله . أشعة العقل . وكهرباء الفكر . لتحدد لنفسها أن الخروج جور . والقصور عجز . ثم بعد ذلك تقول للحرية . ها أنا قد

تشرفت بنشر ظلالك الوارقة على أرقى . وقد أعددت نفسى لمقابلتك
فبرى بوعدك . وأنجزى كلامك . لا كون الحى حقاً . والموجود
حقاً . والمتمتع حقاً .

« ما أروعها من كلمة . تجرى بالفسكرة . فتأبى المسكت فيها .
فتنحدر إلى القلب . فلا يتحمل بهاءها . فيوزعه على بقية جوارحه
فيذا باللسان ينشط ليتكلم . وإذا بالعين تحديق لترى . وإذا بالنفس
تستعد لتتفتح . وإذا بالحرية توحى إليهم . من أراذلي : فليطلق زعزعاته
وليترك شهواته . فيرتفع عن المحدود والمقيد . ويسمو الى العالم
المطلق ويجلس فوق عرش الطبيعة . وبهذا وحده يتهيا لمعانقتي وإقبالي
وملازمتي له ، وما أبدعها من حروف . أن وصفتها بالفضية الرقراقة
لم تعد الصواب . لأنها وجدت منذ وجد الله ، ومنتهى معناها وصف
حقيق لذاته ، وإن نعتها بالذهبية الصافية . لم تعد الصواب . لأنها
الحلقة التي حولها سفكت الدماء . وزهقت الأرواح . وطاشت القلوب
وإن قلت إنها الآن سوداء . لم تعد الصواب . وحسبك بياناً
أنها تاج فوق رؤوس مملوءة بالمسكر والدهاء . وأنها كنز فى يد لم تعرف
قيمتها . فطرحته . وظل فوق أناس استغنوا بسقف بيوتهم عن
الإستغلال به . لخنوع فيهم . أورث البطالة . وضعف عندهم ولد
الذل والمهانة !

و ألا إن أمة قدمت مهرها . وباعت دماءها هيئة لينة في سبيلها .
فهي الامة الظافرة المنتصرة . وإن أمة اجتنبتها . وقنعت لاستسكانتها .
فهي في ظاهرها شاة . تيسر ع عليها الذئاب . وفي حقيقتها . جيفة .
تتقاتل عليها الكلاب . وفي معناها . هدف يصوب اليه المقدوفات
من الرصاص .

وما مثلها حينئذ إلا كالذبابة تطير في الجو . فتكبر أمام نفسها .
على ضعتها ، ويستولى عليها سلطان الغرور ، فاذا اصطدمت بأذن ،
ضاع غرورها ، وقنعت بها ، وتقول في نفسها هنا طنين ، وهناك
طنين ، فان أخرجت ، وإلا بقيت ، ولو سهلت وسائل حريتها
واطلاقها ،

. . .

ولئن كانت المعاني مسلحة بسطوة الفكر فان الحرية أيضا ، مساحة
بسطوة القدر ، وما عد الاسلام في ماضيه وحاضره بعيد

هاهم الاولى ، جهر واجرية الرأى ، وصدعوا بحقيقتها ، واصطدموا
في سبيل ذلك ، فلم يبالوا بما أنفقوه من جهد مالى ، أو عقلى ، أو جسمانى
وثبتوا ثبوت الطود الاشم حتى جسموها في عضلات أجسامهم ،
ووصلوا إلى قتها العليا ، وبذلك علوا وانخفض غيرهم ، وسموا ،
ورسف سواهم

ثم دارت الايام دورتما ، وأخذت السماء نصيبها منهر ، ووارت

الأرض نصيبها الآخر (١) خلف من بعدهم هؤلاء المسلمون الحاضرون
أشلاء ممزقة ، وغشاء كثيف السيل ، وجموع تغر بعد يدها ، لا بعددها
وأجساما تعجب بها ، ولكنها خشب مسندة : رأت الحرية جمودها
وحقارتها ومهانتها وضعفها ، فترفعت عنها ، وأنفت الثقرب منها ،
فتخبطوا في دياجير الظلام ، وحاروا في بسائط الأمور

. . .

« إن سئلت ما الحرية . فقل . إنها الوجود ضاق وانحصر . وضغط
فصغر . وأشعل تحته . حين ذاب وانصهر . فخرج ما كان به من أذى
وتبخر ما كان فيه من قذى . ثم بقيت الخلاصة الصافية ، والثالثة النقية
فكانت الحرية . وهل هي إلا هذه الأم الرؤوم التي تجعل لجنسها الأرض
فراشا ، والسحاب وسادة ، والسماء لحافا ، ثم تأمرهم بأن لا ينهوا
أمام مخلوق لأنه من طينتهم ، وأن لا يحتقروا ضعيفا ، لأنه مثلهم ،
وأن لا يهابوا أى حقيقة فى الحياة ، لانهم موجودون لتذليلها ،
وتسهيل صعابها وأن لا تسيطر عليهم الاوهام الكاذبة ، أو الآمال
الخداعة : لانهم أبناؤها :

* * *

« كان الله هو الله ، لانه الحر المطلق ، وكان محمد هو محمد ، لانه

(١) هذا تعبير للموت .

العبد الحر . وكانت الحقيقة هي الحقيقة . لأنها الباطن اللا محدود .
وكانت الروح هي الروح لأنها المعنى الفسيح . وكان الخلود . هو الخلود .
لأنه الغيب اللانهائي . وكان هذا كله عظميا عظيما : لأنه لم يخرج عن
دائرة الحرية .

« إنما النخلة نواة مدفونة : وإنما المرأة ضلع من رجل : وإنما
الإنسان قطعة من التراب . والحرية وحدها هي التي تسرى في النخلة
فتجعلها تنشأ وتترعرع : وتطرح وتزهو : ونخرج وتثمر . وهي التي
ترسم في ذهن المرأة : فتخلق منها القاتلة بدلها . المسيطرة بحنانها .
وتتمثل في الرجل . فتوجد منه رجلا ينظر إلى الحياة نظرة الوداع
المستقر المهادى الآمن . كأنه يسرّ إلى الحياة أنه مثلها ، فإذا كانت
هي تعمل بقدر ، فهو يعمل كذلك بقدر ، وإذا كانت هي تسير بقانون
واحد ، فهو يسير بقانونين ، قانونها ، وقانون الحرية

ألا إنها المعنى الذي ينصهر فيه كل معنى ، والجمال الذي يفنى فيه
كل جمال ، والجوهر الذي يرجع إليه كل جوهر
وكان الله إذ جمع خلاصة التراب ، وصفوة الماء ، فكون منهما

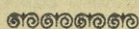
الإنسان ، جمع إذ ذاك خلاصة السمو ، وزبدة الحياة ، فـ يكون
منهما الحرية

إن شخصا يستمد من قوتها ، ويجهد في نيلها ، ويكدح للوصول
إليها ، هو الحقيقة . تذهب الخيالات : وتقضى على الأوهام . وهو
المعجزة . تحرق العادات : وتغالب الأيام وهو الحسنة . تمحو السيئات
وتخلد على صفحات الأعوام . وهو الصوت الذى يدوى . ويقول
للـكون : هات ما عندك من أحداث وخطوب . فلقد صهرت نفسه
وعلمت قلبه . كيف يذيب الأحداث والخطوب .

« أفن يعلم أن الحرية هى كذلك ، كمن هو أعمى ، لا يبصر
ذلك ... ؟ »

لا يستوى الذى يعلمون ، والذين لا يعلمون
إنما يتذكر ألو الألباب

نفثة القلم .



« ضاق الفكر بحسبه : فاراد أن يستريح ويستريح : ليؤضم
العناء الذى ألم به : وي طرح الملل الذى نزاكم عليه : وله أن يضيق .
وأن لا يضيق .

« أما ضيقه . فلا عتلال جسمه فى جميع حواسه . فذوقه عليل .
وضميره مريض . وعاطفته جامدة . وصدره مملوء بظلمات الغطسة
والكبرياء . وجحود الأنانية . ودوافع الحقد والحسد . وأما عدم
ضيقه . فمن باب خفة المصيبة عند عموم البلوى .
« هذه أجسام فقدت الشعور . فاستولى عليها داء النفاق الخبيث
وهوت إلى حضيضه . ورسفت إلى عميق مداركه .

« وهناك أجسام ، لعب بها الغرور ألا عيبه ، ونفت فى حناياها
سمومه ، ونشر عليها أباطيله ، فتبججت فى إظهار نفسياتها على غير
وضعها الحقيقى ، ولكن صولة الزمان أكتبهم على أنوفهم خاسئين
مدحورين ، « وتلك أجسام أنهكها الجوع وآلامه ، وأضناها المرض
وجراثيمه ، وبلاها العرى ومرارته ، فهى سابحة فى وجومها العميق ،
وغارقة فى أحزانها المتلاطمة ، غاصة بحفاف حلقتها المستمر
« وعلى هامش الوجود ، أجسام عاشت فى ظاهرها الحياة ، وفشور

الخلق ، وقنعت بذلك ، وحسبته الخير كله ، والتقدم عينه ، فاستفاضت منه وملأت خاوى بطونها من حميمه ، وما علمت أنها بهذا تسقط من عين كل ذى نظر ، وترسب عند أصحاب العقول

، ، ،

« دنيا أصبحت على فترة من الحقيقة ، وعالم صار على قدم فى الرذيلة ، وقلوب رويت من ماء الفساد ، وعقول استولى عليها دام الجهل الطبق ، ونفوس خاضت فى بحار الأوهام الكاذبة ، فبئست دنيا من جهتها ، حقارتها ، وأناسها

« إن الطيب حين يداوى المجذوم ، ويلاقى العناء بين طابع نفسه وطابع الواجب ، ويصادف المشقات فى التوفيق بين هذين ، تكون حالته أهون وأهون ، من الذى يجلس ليفكر فى أدواء مجتمعنا ، وأضرار شعبنا ، وخبث أهله ، وانحطاط ذويه

، ، ،

« وخرج الفكر من أفقه المحدود ، إلى الأفق اللامحدود ، ولسكنه قصر رحلته على شعبه المصرى ، لتيلس وجدانه ، ويستظهر خباياه ويستطلع على حالاته

« كان البرق يلعب فى الدجى ، فيضيء ضوءه ، فيأخذ مأربه ، ثم يخيب غياهبه ، وكان النظرة ، توجه الى غير ما يليق بها ، فيبصر ، ولسكن

في حذر ، ويطلع واسكن في وجل ، ويرجع واسكن ، في ألم وكان
كالخيط من خيوط الشمس ينفذ الى ما يريد ، ولا يستطيع أحد أن
يرده عما يريد » واسكنه خرج لطيفا لطاقة المعنى ، وعاد مظلمة ظلامه
الجسم ، وخرج وفيه نخامة السكامة ، وعنده بسمه الرغبة ، ورجع ،
وفيه نحول الحرف ، وعنده حمى الهم ، « ليتهم ما خرج ، وليته اذ خرج
ما نظر ، وليته اذ نظر ما فكر ، واسكن الشيء ملازم لطبيته

» لو تو الى الهم على الفكر ، أورثه الجنون . ونقله الى عالم الشكوك
والظنون ، ومن حكمة الله الخالق ، أن جعل فينا اللسان الناطق ، والقلم
المسطر ، فأملت الفكرة فعبر اللسان فبعث في القلم فكتب

« الانسانية في هذه الحياة مركبة من روح وجسم ، ولكل منهما
توابع ليست للآخرى أما الروح فلها العقل وهدايتة والشعور
وحساسيته والقلب وحيويته وأما الجسم فيتبعه الجمود وظلمته ، وتلحق
به انفعالات الشهوة ، ووجدان الغريزة والأغراق في حب النفس
وتقديسها ، والجري وراء الأغراض والآرب » وهذه ظلمات تراكم
بعضها فوق بعض ، واجتمع نصفها الى نصفها الآخر ، فتكون منها
السلطان المسيطر عليه ، والمهيمن على حركاته وسكناته » واختلطت
الروح والجسم فتنازعا وتخاصما

هذا يريد الهوى الى السفلى وتلك تريد السمو الى العلا
واسكن ذلك النزاع وهذا الخصام ، لم يوجد البين بينهما . فهما

متلازمان تلازم الدمعة للعين ، وتلازم الحمرة للنجمل ، وهنا تجلت قدرة الله الحكيم الخبير . وظهرت حكمة المولى الذى هو على كل شىء قدير ، وظل كل منهما يعمل على نقيض الآخر ، وعكس الآخر ، فمن تغلبت أنوار روحه على ظلمة جسمه ، فهو السامى فى ذوقه ، والمصلح فى أمته ، والكادح لسعادة غيره ، والمتفانى فى إنكار ذاته ، وهو العظيم الحق فى حقائقه ومعانيه وخيالاته

وهل العظمة إلا شعاع من أشعة الروح ؟

ومن تغلبت ظلمة جسمه على أنوار روحه ، فهو الشقى فى الدنيا والاخرة ولا تراه إلا غداراً خائناً ، ولاعباً ماكرًا ، وذنباً خاسراً ، ولا تبصره إلا سافلاً فى طبائعه ، خسيساً فى صفاته ، دنيناً فى أغراضه « وفى هذه الدائرة السوداء : تسكونت الأغلبية الساحقة : لرجالنا الحاضرين : وأناس هذا الزمن الضالين المضلين .

« بأسهم بينهم شديد : تحسبهم جميعاً : وقلوبهم شتى : ذلك بأنهم قوم لا يعقلون وأولئك قوم طبع الله على قلوبهم : وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة : وحرمهم نعيم السعادة الحققة : لينغمسوا فى سرابها ويضلوا عن طريقها : جزاء لهم بما كسبت أيديهم : وعقاباً على ما اقترفوه من آثام : وقدموه من خطايا : وشوهوه من جميل .

...

« تنازعوا لأنفسهم : فتشعب هذا النزاع في قراراتهم : ثم ولد وقفش وفرع وأنتج : فكان حقدهم الدفين : وبغضهم المسكين وكان حقدهم وطيشهم وغرورهم وعميانهم :
وكان بعد ذلك تأخر الأمة وانحطاطها . وذلها وشتاتها : وضعفها ومهانتها .

« ثم كان حاصل الضرب لهذا كله . فقدان الضمير . وطرح الكرامة : ونبد الفضيلة : وقذف الأعراض . وهتك الحرمات . فحصلت الطامة : وادلهمت الخطوب .

« ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم : حتى يغيروا ما بأنفسهم : وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

...

« نقاط من الشقاء تبعث : ثم تجسمت : ثم كانت أجساماً من أيدي وأرجل . ثم شعت فيها الروح : فنتج شبهها بالإنسان . ثم كانت رجال هذا الزمان .

« وكان بيضة الرذيلة : سمنت من ولادتها معانيها : ومن إنتاجها آثارها : فأرادت أن تخرج شيئاً يحس ويلبس . فكان هؤلاء الرجال « ألا إنهم في غفلة ساهون : وعن الصراط السوى ناكبون :

ولاهوائهم الذاتية كادحون ومجهدون . فبصرت بهم الخيبة عن جنب
وهم لا يشعرون . فلازمتهم في كل شيء . وبذلك خسروا كل شيء .

* * *

« ما أقفر مدرسة الضمير . لقد أجذبت . وغربت شمسها : وأقل
نجمها . وهوى عالمها . فأجذب الاخلاص . وغاض الوفاء :
وزهب الحياء .

فبرز الشك والرياء . حتى تشكل الخداع والدهان : وتجسم
التملق والبهتان :

« خطوط الذل السود ارتسمت على جبين الأرض : وطبعت فوق
تراها . فلم تجد من يعارضها : فعلت إلى الحيوان الصامت : فخضع لها
من جانب فقد أنه النطق : ووقف أمامها من جانب إدراكه . إضر به
ترفي حركته الاحتجاج وعدم الخضوع . واستسلم أمامه تلاحظ أنه
يريد أن يقتصر منك . ولكن خطوط الذل تغلبت عليه . وارتفعت
إلى دائرة الانسان : وقدمت عليه وهي راهبة منه . ودجلة أمامه . فن
صدها بكبرياء الحق . وهيبة الجد . وسطوة الشجاعة . وقوة الحرية .
فرت منه . واختفت عنه . وانزوت في تراها .

ومن خنع لها : وقيد نفسه بأغلالها : وترك لشهواته العنان في
أحضانها : أحبته من شفافها : واتخذته وحيدها : وجعلته لباسها :

ولا تسكن إلا فوق رأسه : فتستولى على قوته المفكرة . وعقله المدبر
وبهذا يندمج فيها بكل نواحيه . ويعاق عليها جميع أمانيه . وبهذا أيضا
يكون الحى من غير حياة . والرجل من غير رجولة . والعاقل من
غير قلب .

* * *

« وكان جملة من السحاب المتكاثف نشرت على هذه الأرض
أحنتها . وفرطت عليها ظلمتها . وخاطبت أهلها . « مادمت تأمنين فى
بيداء الضلالة . وبعيدين عن ميدان الكمال . فاعلموا أنى سأظل مكانى
هكذا . حاجبة عنكم نور السماء . ووحى السماء . ولئن كانت بين أيديكم
الصورة : « والقانون . والأصل فأنا سأمنع روحه : وقوته . وجمال
الأصل . . . »

« أنظر إلى القرآن والنبي والشرعة : تجدوها هى . لم يتغير منها
شئ ولن يتغير منها شئ : ولكن هذا السحاب منع عنا النفع :
وبر فى قوله : « الواقع الذى لا يحمل الشك : أننا نحن الذى منعنا أنفسنا
نفعها : وجنينا عليها فى جميعها . »

* * *

« فلو أننا استقمنا وأنبنا : لنفخنا فى السحاب فطار . ولنظرنا إلى
الأرض فارتجفت . ولنطقنا بالكلمة فذهبت حيث لا رجوع ولا جدال

وعززنا القلوب . وأنطقنا الجوامد . ولقلنا للعالم كله : حدد موقفك منا . فأما أن تخضع . وأما أن نجتذك من أصلك .

...

« وما أحر الاستدراك هنا . فلقد أضلنا عمهنا الطبيعي . وعمهنا الاصطناعي . وعمهنا التقليدي : فاعجب أو لاتعجب : وإنما لتعلم أن هذا من قبيل الشر الذي لا يجدى في إزالته إلا مثله في ظاهره . ومخالفه في حقيقته . أعني الخير .

« أليس هو يحتاج إلى جهاد نفس كبير : وجهد عقل مضى . وألم جوارح متعب . ثم أليس أنه شرٌّ في ذاته . ولكنه عين الخير في نهايته .

« هذا رجل يمنحه القدر ببعض صفحاته . فإذا هويتفن في إظهار سموحه وكبريائه . ويحذق في إبداء تناسيه وتعاميه . وذلك رجل لا يقدر إلا نفسه : ولا يتحدث إلى عن نفسه . كأنها كلمة . همزة وصلها كل من حولها (١) وهناك رجل استولت عليه المادة : وطغى عليه سلطانها : فهو إن تكلم : فأنما يفرض . وهو إن أحب فأنما المأرب وهو إن خدم . فأنما لمقصد . لفظتهم الكرامة من فمها : فالتقطتهم

(١) فكما أن همزة الوصل مختلفة في كামتها عند النطق . فكذلك هذا الرجل يخفي هل حوله عند التحدث .

الرديلة بفيها . وأسكنتهم بين شفيتها أو لا لينذوقوا معسول لنتها ، ثم
لتنقض عليهم بأنيابها ثانياً
« ياويلهم من الأقدار وياويل السكون منهم !

• • •

« إذا قيل : إن عصفورا غلب نسرآ . كدنا أن نؤمن . وإذا قيل
إن حجاباً أذا بته نظرة . أو شكنا أن نصدق : وإذا قيل : إن فيلسوفا
تشكك في فريقة السماء وأسفلية الأرض . قلنا إنها جمحة فيلسوف .
فأما أن يقال لنا . إن أمة بحالها . انكبت على شهواتها . ورسفت إلى
أسفل مداركها . واستوى في ذلك عالمها وجاهلها . وغنيها وفقيرها :
ومصلحها ومفسدها . وزعيمها ورعاها . فهذا هو الأمر الغريب
الغريب الذي لا يؤمن العقل به . وإذا آمن لا يذعن . وإذا أذعن
لا يبيح . وإذا أباح . تكلم وفي نفسه حسرات وحسرات . وفي صدره
أنات وأنات . وفي عينه دمعات ودمعات . .

« أجل . إن هذا هو الغرم الذي ليس بعده مغرم . والمفزع الذي
ليس سواه مفزع . . !

ولئن اتلف الماء والنار . وصح اجتماعهما فلا يمكن بحال من الأحوال
أن تداهن الانسانية الحققة ما يساورها من المعاني الخسيسة . وما يزين

لها من عمل السوء . لأنها حينئذ تكون في محيط من الحياة وهذه في محيط آخر . وبين المحيطين رزخ عظيم جميل . عظيم لأنه الحاجز بين الخير والشر . وجميل لأنه الفارق الوحيد بين النفس والروح .

...

وما دامت الحيوانية متغلبة . وآثارها هي المسيطوة . فقد رفع هذا البرزخ . وحينئذ ناشدتك الله . كيف تفعل شرارة النار الواحدة إذا أطلقت في معمل من الحرير موجود في الصحراء . ؟ ومن هنا نعلم لم اختفت عنا أضواء الفضيلة . ودرست معالمها . وذهب جوهر الحق فرأيناه كمطلق كلبة . وعاملناه كمطلق كلبة . فوقعنا فيما نحن فيه . وأحاطت بنا المصائب من كل حذب . وأقبلت علينا من كل فج . كأن جوانب الوجود الأربع . غضبت وثار . فأرسلت هذه شطاها . .

* * *

الضمير في الإنسان إبرة الفضائل وسهم محرق على الرذائل . فإذا وجد كان له عملان جسيما . يحز في الجسم إذا اتجه نحو النقائص . فيؤلمه فيشعر كأنه يمزق أحشاه . فلا يستريح له نوم ولا يقظة . ولا يهنا له طعام أو شراب . فيرجع طائعا أو مضطرا . وبذلك ينجو من هذه الشرور الأثيمة . وفي الوقت نفسه يحرض الإنسان على أن يزيل هذه الخبائث . ويقطع جذورها . وينظف الكون منها . وهذا هو عمله على أحراقها . .

« فإذا لم يكن هذا الضمير . تسلطت عوامل الفساد . وخبث الباطن . فيرحب بكل خبث يقبل عليه . ويوجد له فراغا في جسمه ليريجحه ويطمئن فيه .

« وإذا كانت توابع الفساد تطوح في الفضاء بسلامة العقل . وتغطي على جمال الفكرة . وتذهب بروبقها . فكيف بها إذا لم تجد عقلا سليما . أو فكرا مفكرا ؟

. . .

« لقد لعبت بنا الهواجس . وسيطرت علينا الأوهام . وغرقنا في بحار المنكرات . وباليأس إذ غرقنا اختفينا واسترخنا . ونكثنا . لما كنا غرباء في ظواهرنا . كنا كذلك حتى في بوطننا . ولما تركنا الحسن وجهاله . أفاض علينا الوجود القبح وخصاله . ولما تعمقنا في صدا أرواحنا . تعمقت الغريزة واستحكمت . ولما تركنا الحق وقوانينه نشر علينا الباطل مفاته وأضاليله . حتى صار علينا جهلا . وسهنا صعبا . وفرجنا كربا : وراحتنا تعبنا . وحتى ذبل الضوء . وخفت النور . وأصبح السكون كله حقائق مؤلمة . ونتائج بشعة . تتقطع لها الأكباد . وتفتت من أجلها القلوب . .

* * *

« ونحن نعلم . أن السماء مصدر للرحمة والنقمة معا . ومع ذلك .

فليس فينا عين تبكي . ولا قلب يرحم .

« . . »

« النقص في ذاته ألم . فإذا تمثل في الرجل : كان اثنين . فإذا عجز عن أكمله : كان ألما وألما وألما : وبثلاثته اجتمع في أفراد شعبنا المصرى العليل . .

« هانت عليهم أنفسهم . قتهاونوا فيما يرفعها . وقدموا إليها الأدنى من منفعتها . واعتقدوا أن نعيمهم في تحقيق رغباتها . فتفانونوا في ذلك وتمكالبوا عليه . ونسوا في سبيلها أرواحهم . فتغافلوا عنها . وتعاموا عن توابعها من شرف وذمة وضمير . وكأني بالروح تقول لهم : ما قاله مغذيها ورسولها . إذا لم تستجوا فاصنعوا ما شئتم .

« لو نظرنا إلى قمة أهرام من الأهرامات . وجدناها كلها علت ضاقت . وكلها ارتفعت انحصرت . حتى تنتهى بنقطةها . ولسكنها النقطة التي استطاعت أن تثبت نفسها وتغلب عواصف الرياح . أما لو نظرنا إلى أبناء هذا القرن : ألفيناهم كلها أوادوا أن يعلوا بأنفسهم زادوا في الانخفاض : وكلها أظهروها بغير وضعها . شمع هذا الظهور . وعلا وارتفع : حتى يصل إلى قمة الأهرام . بل يزيد عليها بكثير : ولسكنه كالدهان : يعلو ليتوزع : ويرتفع ليحى . .

ذلك لأنهم حادوا عن الطريق المستقيم . فتركهم الطريق المستقيم

« رجلنا اليوم : درعه النعمة . وسلاحه النزاع . ولسانه الباطل
وديدنه تنقيص غيره : وطبعه الأنانية والآثرة : ومذهبه نفعه :
ودائرته محيطه . .

« ويعلم الله ويشهد : أن هذه الآثام سترجع شظايا إلى قلبه .
وستتسكس على قمة رأسه . وستقطع أحشاء نفسه . لأن الباطل لا يلد
الا الباطل : والنعمة لا تحبل الا بالنعمة . فأما الزبد فيذهب حفاة :
وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . وهذا الصنف من الناس من
القسم الأول . فسيصيرون هباء يذروه الرياح . وكان الله على كل شيء
مقتدرا . .

« رحماك اللهم .

لقد فاض الأناث بما فيه : ولقد عاوز الحزن النفوس . ولقد
بلغت القلوب الحناجر ولم يبق الا أن نظن بك أنت الظنون . فعجل
اللهم بهذه الاسائة : واقض على تلکم الذبالة .

« هيات لليل أن ينير حتى يطلع فيه قمره : وهيات للصبح أن

يستبين حتى تشرق فيه شمس : وهيأت للبصريين أن يتقدموا : حتى يحاربوا قبل كل شيء أنفسهم ويرضوا ربهم وضمانهم .

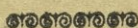
وإذا قيل : لا يستطيع أحد أن يخلق شيئاً . من لا شيء الا الله : فأنا أقول : ان الانسان هو أثر قدرة الله في أرضه : ودليله في كونه . وما أشد اتصال الدليل بالمدلول : وما أكثر تعلق المتقول بالمعقول أليس الله تعالى يقول :

« عبادي أطعني . أطيعك ربانيا . تقول للشيء كن فيكون . . »

* * *

اللهم هيء لنا من أمرنا رشداً : وأفتح لنا أبواب هدايتك . ودلنا عليك . وأوصلنا اليك . وأهدنا الى طريقك المستقيم . .

السحر الحلال



« بربك : لتسكين على شيئاً منك : حتى أستطيع أن أكتب
شيئاً فيك : و بربك : لتلطفن شعورى بك : حتى أملك نفسى وعاطفتى
وأخرج للناس وحيهما من جهتك . و بربك : لتخرجن من معبدك :
حتى تراك العيون : وتبصرك حقائقها : وتتصل بك الأئمة : وتتمتع
بسحرك القلوب . و بربك : لتخطرن فى مشيتك : وتظهرن ابتسامتك
وتكشفن إشراقتك : فأنتك الجمال ولقد قيل : إن الله جميل : يحب
كل جميل . ١ »



« استراحت السكائنات : أم هاجت : لايهمنك شيء : واستيقظت
المخلوقات : أم نامت : حسبك الجميل الحى : ونشطت الألسن :
أم هجعت : لايضيرنك نطق أوعى .

« أمنت فقررت فى وجودك : وهدأت فعظمت فى نفوذك :
وما عليك إلا أن ترسل أشعتك : وعلى السكون أن يرمى لفتتك :
ونبلت حتى لارمت المولى فى كل صفاته : وعلوت حتى عبر عنك فى

آياته » وإن تعدوا نعمة (١) الله لا تحصوها : إن الله لغفور رحيم ،

« فيه تسرح النفس سرحتها : وترسل الفكرة خطراتها : وتموج العاطفة موجتها فهو همزة الوصل بين صدق الخيال : وروعة الحقيقة ويعمق الخيال في صدقة : حتى يظن أنه انقلب إلى ثاني شقه (٢) : فيتحدان ويسيطران على كل لفظة وحركة : ويشفان فيسريان في الجسم : فينظر الانسان إلى الوجود بأربعة أعين : كعينين : لأن الأوليين : قد اندجنا في الثانيتين . فبصرتابهما : وبذلك يرى كل شيء أمامه جميلا : وهذا معنى قولهم .

« كن جميلا ترى الوجود جميلا ،

« ومنه نبعت الروعة . فلا ترى صاحبه إلا وترتاع منه : وتخجل أمامه : وما التخجل إلا استحياء : وما الاستحياء إلا قبس منه . تمشى في الانسان : فأحرق بتياره جذور الجشع والنهم . وقضى على تهوره وهو سه . ورعرع بذور الخبر والنبل . وهياها لفهم الكمال على حقيقته فكان كالشمس . تمد بأشقتها الأرض وتنفعها : وفي الوقت نفسه تطهرها من جراثيمها . ولذا كان ارتياحك من الجمال : لأن قبس

(١) أبعد النظر تجد أن كل شيء يتصل بالنعمة هو متصل بالجمال :

(٢) كناية عن الحقيقة .

استحيائك لا يستطيع أن يثبت أمام أصله ولكنه لا يذهب ولا يفر .
 فيصير كشمس بسيط أشعل في ظهيرة النهار . فهو موجود ولا موجود
 في وقت واحد . ومن هنا تحس بأنك عاجز أمام الجمال . وضعيف
 في ملكوته . ولكنك راغب فيه : ومن هنا أيضاً . كان ارتياحاً غريباً
 كما أن الجمال شيء غريب .

« إليه يرجع السر الأعظم في بهجة الطبيعة : وحسن اجتلائها :
 وتأثير صمتها . وروح أزهارها ، فاسمه غاية الوصف ، ومعناه منتهى
 السمو ومجموعه دليل واضعه . وبرهان خالقه .

« أنظر بعينه التي فيك منذ وجدت . وأنت تتعاطاها في بعض
 الأحيان ، تجد أن صوامت الأشياء تنطق . وجوامدها تتكلم ، ولو
 تحسستها لتبينت منها أنها تناديك . « لاتسهن بي ، ولا تحتقرني . فلقد
 بشى خالقك ، وفي بعض مافيك . »

« وعليه وحده تبعات رضاك . وتمتعك في هذه الحياة : لو سلكت
 مسلكه : ونهجت طريقه . وكنت من الذين عرفوه حق معرفته .
 فساروا على ضوئها : وبعدوا عن ظلمات الجهالة .

« إنه النسيم إذ ارق . والسماء اذا صفت . وكأنه يوحي الى الوجود
 عليك أن تبالغ في صمتك وعلى أن أمدك بجمالي ومن أراد أن يدخل
 معبده . فليطهر قلبه من كل شيء : الا ضميره : وعقله من كل شيء :

الاطهر فكره . وليوزع سلطان روحه على بدنه : ثم يتقدم اليه
ويعان خضوعه لكل مايفرضه عليه . ثم ينتظر : حتى يسفر عليه .
فيهبه مايبه . ويعطيه مايعطيه .

« معبد أحيط بالرهبة . وفرش بالسحر : وطلى بالرغبة : ولذلك
يراه الناظر ، فيعجبه ، ويشغف به : ثم يفتش على بابه ، فيجد الرهبة
ملتفة حوله ، فيقع بين هذين العاملين ، وتحز الحيرة في مكنونه ، فاذا
علم الجمال صدق رغبته واخلاصها : كشف له المعبد عما طلى به فيسحره
فلا يشعر الا وهو غارق فيه ، منغمس في خلاله ، فيحس بلذة كلذة
الرى ، وتأثير كتأثير السكر باء . ولكنها السكر باء المضيفة لا المخرقة

. . .

« بسمة الثغر صورة من صوره ، فشبه بها كل رائع ، واقتبست
النظرة منه : فعبر عنها بالسهام : واقتطفت الوردة بذرتها من آثاره .
فأصبحت لؤلؤة البر . وأرته المرأة ضعفا ، فأفاض عليها بعضهامنه ،
فصارت جنون العقلاء ، ونار العواطف ، وعاصفة القلوب ، وتيار
الجسم المشتعل الذي لايقبل هوادة ولاارتياحا ، وقانونه : من أحسن
فله جزاء الحسن . ومن أساء ، نظر في شأنه ، فان اعترف بخطأته
ورجع الى صوابه ، سوح في ذلك ، والابعد عنه الجمال وتركه . ولايبالي

« اذا تمشى (١) على التراب أخرج لنا حباً وعنباً ، وقضباً وزيتوناً ونخلًا ، وحدائق غلباً . وفاكهة وأبا ، ثم يلقى على التراب ، لا تيأس اذ كنت موطىء الأقدام ، ولا تغضب اذ تصرفت فيك الهوام ، فَمَا قَرِيب ، سَيْبِلِي كُلِّ قَدَم ، وتصير أنت موجوداً وهى العدم . انه روح من الروح ، لم تتجسم ليتمكنها المشى مع الهوام ، ولم تتشكل لأنها معنى من المعاني ، ولم تر لأنها روح ، ولكنها حين تتمثل ، يصبح صاحبها عنقاء العقول ، ومصدر الدهول ، وموضع التقدير والاكبار والاجلال ، كأنه سأل الله أن يخصه بشيء ، فاستجاب دعاءه ، فجعل طلعة الفجر وانشقاقه وبروز الشمس وانبثاقها ، لكي يذكر الناس بروعته في غدوة النهار ، فيرددوه على ألسنتهم بقيته ، ثم مثله في غروب هذا السكوكب وانحجابه ، لكي يشاهدوه ويتفكروا في شأنه ، ثم بعد ذلك كسى السماء بذلك الثوب الجميل وزينها بنجومها اللامعات لكي لا يعرب عن ذهنهم ، ويناموا وهو في ذاكرتهم ، وهل هناك سر غير ذلك في قوله تعالى ، (وسبحوه بكرة وأصيلاً) وهل الذكر الا أعظم أنواع الجمال وأبهى حالاته ؟

« إذا نظرت إلى عالم الأرض وجدته : وإذا تفقدت عالم السماء ألفيته : وإذا لمحت الفضاء الذي بينهما : أبصرت ذراته تنزل مع

(١) لاشك أن الماء يخرج ذلك . وهل منظر الماء غير الجمال ،

الشمس : واسكن . لا تمنحجب نأحججاها . وتتهادى مع القمر . واسكن
لا تغيب غيابه .

« ألسنت تعلم أن هذين : ما هما إلا آلتان من آلاته . وغصنان من
شجرته : والدليل على ذلك الهنيئة التي قبل طلوع الشمس : والساعة التي
بعد غروبها . ؟

« علم الله أنه الجوهر الأزلي الذي لا يفنى : فاتخذوه وصفا : وأنه
المثال الحى للتطبيق . فاشتراطه ميثاقا : وأنه الدائرة التي تسع كل شيء :
فجعلها مخلوقاته . ثم قرر سبحانه أن من يشذ عن حده : ينقلب إلى
ضده : ويبعد عن اسمه .

« وإذا مسه أحد بسوء : قال له : أيها المغرور المفتون : إذا كنت
أنافيك : لا تستطيع أن تنفوه بشيء من القبيح : أو تنطق بكلام من
السوء . لآنى لا أنفق وذلك : وإذا لم أكن فيك : فاعمل ما شئت :
فأنت منقص نفسك . ومنحط إلى مداركها ومهاويها : وحسبك حينئذ
أنك بحق غير جميل . .

« قل لمن عرفه : كيف هو ؟ يحبك بأنه من اللطافة بحيث لا يحجب
ما وراءه : ومن العظمة بحيث لا يحمله أحد . ومن الرفعة بحيث ليس
فوقه شيء . ومن التواضع بحيث يقبل على من رغب فيه . ولو من
أسالة الناس وعامتهم . . وبأنه النور الثابت الذى يطبع نفسه على كل

مظاهر الطبيعة : فيكسبها الضوء . يبعث فيك سرور النفس . وسلام القلب . ورفاهية الفؤاد . .

وبأنه القلم الصادق الذى يصور لك الفرق بين السماء والأرض :
لا من جهة النجوم والتراب وإنما من جانب ما يصدر من هذه .
وينبع من تلك . .

« لا تدري . حين يشع فى جسمك . من أى عطفك دخل :
ولا من أى جوارحك نفذ . ولو لا ما يتجدد عندك من شعور .
ويتبدل لديك من حال : وتحسه من لذة واتعاش . وتجده من انشراح
وابتهاج . ما أحسست به . وكأنه بذلك يريد أن يقول لك :
« ها أنذا أشرقت عليك باختياري . ووصلت إلى أعماقك من
غير أن ترانى . فإن حافظت . . وإلا أتركك وأخرج منك من غير
أن ترانى . .

« وعند ما تحكم عقلك . وتتدبر فى نظرتك . وتخضع لضميرك .
وتسلم نفسك . يصفو أمامك الوجود . ويتولد فرحك من كل ما تراه
وتستطيع أن ترى السيئ حسناً . لأنك تبصره من جهة خيره . أعنى
من جهة أضراره التى تتمثل لك فتصدك عنه . وتبعدك عن سبيله .
وهذه هى عين الخير . وعند ما تسكون غير ذلك . يفجؤك الوجود
بغير ذلك . .

« تربت أم لم يجعله في لبانها . وشقى طفل لم يتذوقه منها .
 وخسار جل لم يجعله في حركاته وسكناته . وسفلت فتاة . شوهته بنقصها
 وحطمت بهرم زينتها . وأذهبت روعته بقييح تصنعها وثقيل تدللها .
 « وهل هو إلا المعنى الحساس . الذى يأبى حين يكون . ألا يكون إلا
 وحده هو المنصرف والمسيطر . والذى لا يقبل معه شريكا . لأنه
 ليس له شريك ؟

« سبحان خالق الورى . .

« أبدع الإنسان . وجعل لكل جراحة منه موردا لغذائها . ولما
 كان الجمال أشرف الحياة جعله غذاء لأعظم خصائص الجسم وميزاته
 ألا وهو الروح البشرية . .

« وإنه لحبيب اليك . شغوف بك . حريص عليك . لأنك منه .
 ولأنه لا يقدره من المخلوقات غير جنسك . والغزال نفسه . لا تدل
 خفة حركاته . ولا جمال مشيته . ولا بهجة منظره على أنه مقدر لقيمة
 الجمال . وإنما هي طبيعة جعلت فيه . وجبل عليها . فنشأ هكذا . .
 كما أن حب الجمال لا يمنع من أن يغضب اذا أهين . فلئن كان من
 الجمال الدعة والسكون . فإن منه أيضاً التحرك والثورة عند التعدى على
 الكرامة . .

« إذا أشرف نجم في السماء . على بحيرة صافية في الأرض . وجدت له خيالا يلبع : وصورة تبرق . وشبه ايزهو . ولسكنه يرى كأنه مضطرب ومتنفذ : فلا يثبت في مكان . متع بصرك من هذا المنظر لروعته وبهائه : ولأنه يمثلك أنت بذاتك عندما يثير الجمال في نفسك النشوة والإعجاب . ويقبل عليك . وتكون صورة له : تضطرب اضطراب النجم : لما ينفثه في بشريتك من سحره . حتى تعلو بكليتك إلى عالمه : وهناك بصرك ويهتوك : حتى تصير معنى من معانيه : وآتئذ : فلا عجب أن تكون كالنجم البحري من جهة أخرى : تظهر كأنك في متناول اليد : وأنت في عالم آخر عن حورك من الناس ومن مباهمه أنه يقول لك : أنظر إلى كل شيء بمنظاري : فأنا أستطيع أن أغير وأبدل ما تقع عليه عينك : حتى تعجب به . ولو كان هو في ذاته غير ذلك .

ولعل الحكمة التي تقول « إذا أردت إصلاح نفسك . فأت بمرآة وانظر فيها وجهك . فإن كان حسناً استحييت أن تضم إلى الحسن قبحاً . وإن كان قبحاً . استحييت أن تجمع بين قبحين » مستمدة من هنا لأنها تريد أن تبين أنك تصلح باصرتك : وتجميل نفسك ، وإنسان عينك . فذلك بذاته بجمع جملتك . فإذا صلحت صلح . أي نظف بما يعلق به من الشوائب . وفي هذه الحالة اذا عرضت نفسك على مرآة الجمال . وجدت صافية صافية وتبالغ في هذا ، حتى تكون المرآة

البشرية . يميز فيها بين الحسن والقبيح . لأنها تكون بحملتها دليلاً ناصعاً على سمو الجمال . وعظمته . وعلى قبح ضده وبشاعته . وبهذا تكون مرآة ناطقة وتلك من خصائص الجمال .

« وهناك جمال ظاهري وهو الذي تبصره عينك الظاهرية . ثم يطفو على ظاهر بشرتك . ويترك عندك أثر الرغبة الجامحة ، والعاطفة البهيمية ، وذلك من قشوره التي لا بد منها عنده ، ليمتحن بها ذوى الشفوس التي تجردت من حيوانيتها ، وارتفعت الى العالم المطلق ورأته كل ما تريده وتبتغيه ، فتزيد منه ، وتقننت في هذا التزيد حتى كان همها أن تسكن فيه ، ولميز هؤلاء من الذين رسفوا الى دركات الأغراض والمطامع ففرضت عليهم الأهواء سلطانها ، وجرتهم الى شروها ، وعبدتهم للرديلة ، ولو لا هذا كله ، لسكان الجمال من غير قشور يخلب بها ، ويفتن بواسطتها .

. . .

« ما أروعه حين أطل على من شرفته التي هي كل الكون وافتت عن هذه الابتسامة التي كانت فيها حمرة الورد ، وبريق الزهر ، ولمعان الكواكب ، وكان فيها اشراق الصمت ، تعمده به الحسناء أن تسكلم ما خفي عنها من القلوب ، ولو لم أنظر اليه بعينه ، ما استطعت أن أستوضحه ، وألمح هذه الابتسامة الرباعية التي أمكنها أن تكون

خلاصة الوجود في الحسن وجملته في التأثير ،

« وما أجله عندما سمح بإفضاء كلمات إلى ، كنت لا أسمعها بأذني بل بجميع جوارحي . حتى جعلني هذا الافضاء أزداد يقيناً بأن الأنبياء عليهم السلام . كانوا يلاقون شدة أيما شدة وقتما يتغزل عليهم الوحي من السماء ، وضح لي هذا وسفر : حينما كنت أسمع كلمة الجمال ، فتدور بي الأرض الفضاء . ولا أسكن إلا على قوله ، أينما ذهبت ، فأنا معك لأنني السك في السك ، ولقد قال ، أنا الذي أنتهى من حيث أبدأ : لأنني الذي أبدأ من حيث لا أنتهى ، من أفضت عليه نوري ، انتقل إلى العالم العلوى في لحظة ، ومن أسقيته من كأسى . ذاق رحيق الجنة في طرفة ، ومن رفرفت حوله ، حامت حوله الأنظار ، وأحاطت به الأفكار ، وراقبته العيون أينما حل وأينما سار ، أنا المعجزة الكبرى والآية العظمى ، التي تبرى الأكمه والأبرص ، وتحى الموتى بإذن الله أنا الاسم الذي ينبع من حقيقة النور الأذلى . لأنه خالدخلودها والكلمة التي حروفها الرقة والصفاء ، والإذابة والفناء .

أنا الجمال ، قدسنى الشعراء ، وألهمنى المحبون ، وعبدنى العاشقون

...

« آه ثم آه من فرط حسنه ، إنه يقول للعقل البشرى حينئذ قرقرارك ، أو فر فرارك . فوجودك وعدمه سواء ، وللقلب الإنسانى ذب أو لا تذب ، وأخفق أو لا تخفق . فذلك عندى هراء وللعاطفة

اشتعلى أو لا تشتعل ، وتلمس الخلاص أو لا تلمس ، فانت فى الأرض وأنا فى السماء ، ويقول للنفس : تشفى بوجدانك أولا تشفى ، فالقضاء فى عين البقاء . وللكون ، أحقد أولا تحقد فأنا الوحيد الذى لم يؤثر عليه هذا الداء ، ثم يقول ، اهتفوا معى من أعماقكم . جل من له فى أرضه وسماواته العظمة والكبرياء

« هو آخر النفس وأول الروح فاذا تمكن المبدأ تمكن هو ، وعلى قدر صفاء الآخر ، يكون صفاءه ، فالنفس فى مبدئها أمارة ، فان علت بتنازلهامارة الروح ، قضت على الفروق التى بينهما . وهى حينئذ تكون فى آخرها ، وهذا هو الجمال ، اسمع قوله تعالى : يا أيها النفس المطمئنة : ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى

« حنانا لمن شغفوا به : وابتلوا بحبسه : ووقفوا أنفسهم على التمتع بآثاره ، إنهم يرونه فى كل بسمة ، ويبصرونه فى كل وردة . ويشتمونه فى كل زهرة ، ويحقدونه فى كل نسمة ، فأما إذا أشرق عليهم هو كان جسيمهم من حيث لا يشعرون ، وسعيرهم الذى فيه يتقلبون ونارهم التى يهاجعون ، وجرهم الذى منه يتأففون ، وهدفهم الذى عليه يتقاتلون ، ومن أصابه أو لم يصبه فهو المجنون

« لطف نفسى على أناس ، حسبه في الحواجب فزججوها ، وفي
العيون فكحلوها ، وفي الأصوات فرققوها ، وفي المشية فنظموها
وفي اللقطة فخنجوها ، وتركوا أنفسهم في ظلمات الغرور والجهالة
ورزائل الحمق والوقاحة وانخفاض التعالى المزيف ، وتمسّدق الجسد
المتكلف وما دروا أنهم بهذا أذهبوا الجمال من أبراجه فيهم ، وقطعوا
حيات عناقيده من أعناقهم ، وأطفئوا سراجهم الذى كان يشعه في
أجسامهم : فصاروا من الذين يحسنون أنهم يحسنون صنعا : وأولئك
بعينهم هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما
كانوا مهتدين

« كن من عاشقيه ، ولكن كن من راهبيه ، فإنك اذا ، تحرص
على رضائه ، ويمكنك كبح جماح عاطفتك ، واستيلاؤك عليها ،
فيكتبك عنده من خلصائه ، وتستطيع أن تواصله ويواصلك ، أما
اذا عشقته ، ثم طمعت فى الوصول اليه من غير أبوابه ، وفهمت أن
عدم الهيبة والوجل ، عاملان من عوامل فرض نفوذك عليه ، فقد
جنيت على نفسك ، وأكسبتها الخسران المبين ،

« حسبك منه نظرتة ، ولتقتنع منه بإشارته ، وطالعه : ولكن
من بعيد ، وأملاً نفسك بحبه ، مع تحكيم رأيك السديد ، فإذا أطل
عليك ، ولمسك بأجنحته ، كنت السعيد السعيد : فان ترفعت وسموت
وطهرت ؛ وإلا كنت الطريد الطريد

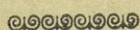
« إذا قيل لك : ما الجمال ؟ فالجمال أن لا تتكلم : ولا تحاول أن تتكلم فحين لزومك الصمت : يغار هو على نفسه : فيسرى في جسم سائلك : فيراه في كل شيء : وتكون أنت قد كشفت مؤونة الجواب « وإن أردت أن تتكلم فقل :

إنه السالب للفكر : والخاطف للبصر . والمملوء بالعبر . والمحاط بهيمة القدر ، علا حتى يئس قاصده : ودنا حتى لمس نائله : ولا تدري : أهذا سياسة منه أم حياء ! أم عظمة التواضع . أم تواضع الكبرياء وهل هو إلا فن المجانين . ونبوغ العقلاء .

« أباها السحر من غير ساحر . والموجود من غير فناء . لتعلم أن القلوب تهواك . والنفوس تعشقتك . فعاملنا معاملتك . معاملتك التي لا تقبل الخداع . لأنها اليقين . والتي لا تقبل المراء ، لأنها الصدق ، والتي لا تخالجها القسوة . لأنها الحنين . والتي لا يفارقها الجلال . لأنها الخلود . ولأنها منك .

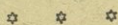
تبارك الله إذ خلقك .
وتباركت أنت إذ كنت أعظم آثاره .

منحة تلد محنة



« الحياة بسمه . ولكن الفهم الذي يبسم . لا يابث أن يعبس ،
لما يتذوقه من الأشجان والأحزان ، والحياة شروق ، ولكن الشمس
حين تطلع وتتوهج ، لا تغتر أن تتدلل وتستبي وتصبى لتظهر للوجود
فضلها ونعماءها ، فتختفي بعد إشراف ، وتمحجب بعد ظهور ، والحياة
أمل وللأمل رونق جذاب ، ومنطق خلاب ، ولكن خياله فتنة ،
وحقيقة محنة

ولقد اجتمع الأشراف والعيوس ، والحقيقة والخيال ، في بنت
من بنات حواء شاء لها القدر ، وشاءت لها الأيام أن تجعلها مركزاً
لنقاط تحولها ، وأساساً لأهدافها ومراميها



« قدر يتصرف ، ودنيا تسخر ، وزمن يرفع ويخفض ، ووجود
يخفي ويظهر ، والإنسان أضحوكة للجميع ، وألعوبة السكل ، يقلبونه
كيفما يشاءون ، فحيناً يصبر ويثبت ، ويعلم أن في هذا خبره ، ولو تحرك
ما أجدى شيئاً ، وأحياناً يجزع ويشور ، ويهدر وينذر ، ثم يهدم
كالعاصفة ، يغير منها الغضاء ، ثم تنكشف

وكل حي على الشر ما هو على الخير ، وعلى الخير ما هو على الشر ،
كفنان لا تنقل أحدهما إلا لتخف الأخرى ، ولسكن لا تخلو من أصلها
فليس هنالك شيء يخلص إلى الخير وحده ، أو يمنح للشر فقط ، فحاذر
من الخير أن يذهب ، ومن الشر أن يتغلب .

وإن القلب كما تسيره ، فنشتهه على أن يثبت ، وعمله كيف يقابل ،
وبث فيه روح الشجاعة ، والبطولة ، وقل له ، كما ينزل الطعام الى
معدتك مهضوما بمضغه ، جاهزا بجميعة ، يسهل عليها تحويله الى موادها
كذلك أريد منك أن تخرج الى الحوادث مهضومة بمضوعة ، مقطعة
الأجزاء ، مفرقا بعضها عن بعض ، فيمكنني أن أقابلها ، كما ينبغي
أن أقابلها

« ومصائب الزمان أقسى من ناد الآخرة ، لان النار شيء أمامك
ترى أحرارها وتبصر وهيجه ، فيكون ذلك عاملا على ذهاب قلقك
العقلي . وإن بدل الجسم وغيره ، ولسكن شيئا يدهمك ، ويلم بك ،
فيشئت جمعك ، ويشرد بلبك ، ويثقل حركتك ، ويلصقك بالارض
لهو المصيبة في ذاتها ، والنكبة في حقيقتها والطامة بمعناها ، والنائبة
التي لا أدل عايتها من اسمها

« وكأن المقادير علمت أن الانسان هو الخضم المبين ، والمجادل

الاثيم . فجعلت عصاها المؤدبة . هي المصائب . تقبل عليه . فيتأوه منها ويتحسر .

« كانت هذه المرأة . فاتنة الحسن . مشرقة الجبين . واضحة المحيا تلازمها بسمتها التي تجعل وجهها . كأنه قطعة من النور . وأفاض عليها الدهر فيما يفيضه . نعيمها بزوجها ولدها اللذين جعلها في بحبوحة من الترف والنعيم . وبسطة في الرغد . ونقلها إلى عالم الطمانينة وراحة القلب . ودرجا بها إلى أن أجلساها فوق عرش الطبيعة . فكان لا يصلها ببقية السكون إلا أسئلة وأجوبة .

« ولكن يد الأزل لا تنام . والذي لا ينام . يثبت هو . ويوثر في غيره . أما ثباته فلا أن الحركة من صفات الحوادث . وهو منزه عنها . وأما تأثيره في غيره . فلا أن الحر المطلق لا يتم إطلاقه إلا إذا نفذ كل ما يريد . ويقع كل ما يقدر رغم من يعارض . وكره الواقفين الثائرين .

« وكأنها إذ توعده . تقول للإنسان ، لا تفتر ولا تشمخ . فأننا نونك ، وأنت نقطتي ، فإن استقممت كنت معك نون نسخ . وإلا كنت نون رقعة .

« وهل من العجب أن تبتلع السمكة الكبيرة مفردات الديدان الضئيلة ، حتى يكون هناك أى عجب عندما يخفى القدر الإنسان ؟؟

« وتقدمت السنون والأعوام . وكان القدر حاسب نفسه على تفریطه
فى معاملة هذه المرأة : ففضغ بين أضراسه زوجها : وعصريين رعاياه
شبابها وخطف منها بريقها ولمعانها : ثم تركها كمطلق امرأة ، تعامل
بأية معاملة : وبذلك انحصرت نقطة سعادتها : ومهبط آمالها . وكل
هناءها وأفراحها فى ابنها الوحيد .

« كان أحدوثتها العذبة . وأنشودتها الساحرة : وأغنيها المطربة ،
وكان شمسها فى النهار : وقرها فى الليل ، وحلها فى النوم : فطيفه لا يكاد
يفارقها طرفة عين : وكان لها الزهرة الياضعة تشع من حولها : هالقه من
الحسن والبهاء ، وكان لها نوراً ينبعث من الأرض : ليضيء لها
بأشعة البشر ظلمات الحياة ، وكان المنحة التى تلد المحنة : والنعمة تنبت
النقمة .

« لقد سجلت الأقدار للشرق أسمى آيات الفخار وأبهى أكاليل
الظفر : وأروع علامات المجد والعظمة ، وأنغم أساليب التقدير
والاكبار : ولكنه نسي أو تناسى أنها هى هى : فارتاح لعرها : وركن
الى لين وطاها : واغتر بخداها وفتنتها ، فانقضت عليهم بأنبيائها :
وقلبت لهم ظاهر حركاتها : وعكست أوضاعها رأساً على عقب ، ستة
الله فى خلقه ، ولن نجد لسنة الله تبديلاً .

« انهمكوا في الترف والملذات ، وغالوا في انهماكهم : حتى صار الترف جزءا منهم ، أو صاروا جزءا منه ، فليسوا إلى فراقه من سبيل ، وفضلوا طريق الغي والضلال ، على طريق الهدى والرشاد ، وطرقوا عوامل الفساد كلها ، تاركين أبواب الخير مقفلة موصدة ، يخيم عليها كابوس الرذيلة والانحطاط ، فغابت شمس السعادة ، وأقبل ليل الشقاء ، ينشر أعلامه السود فوق ربوع الدولة ، واجتمع ظلام السكون إلى ظلامه ، وتراكت جيوشه الهدامة ، تثير الغبار شيئا فشيئا حتى أوجدت الاضطراب في كل قاصية ودانية ، وعممت الفوضى في كل ناحية ، وإذا نجم المجد بأقل ، وإذا مصباح الحرية ينطفئ ، وإذا نور العزة يذبل ، وإذا كل منهم يحوش في دمه وأعصابه ليكون كالخجر والتراب .

« زلزلة غريبة في بابها ووحيدة من جنسها ، لأن مآلها يخرج النفع ، ويطمس التراب ، ولكن هذه الزلزلة أبطنت الخلاصة ، وأظهرت العلة ، أخفت هؤلاء الأناص الذين كانوا العضد الأيمن للسيادة الحققة ، والمثل الجميل ، للتقدم المتواتر ، وعنوانا نبيلًا على الظهور في ميدان البطولة ، وأبقت هذه الأسالة من الناس ، قلوبهم في ألسنتهم ، وأيديهم في كلماتهم ، وبطشهم في ثرثرتهم ، وحقهم في

أصواتهم ، ووعيدهم في هتافاتهم .

« ترى الواحد منهم فيداخلك الشك في صحة أن المسخ رفعت
اثاره عن أمة محمد ، وتبصر من أعماله ما يجعلك تؤمن بأن الساعة
قربت وأوشكت ، ويوقعك في حيرة بين أن تحرص منه أو تقدم
عليه ، وتصرف جهدك في الحذر من شروره وآثامه ، والحذر على
الإنسان شر مستطير ، وعذاب أليم ، لأنه تقييد لطبيعته ، وكبت
لحرية ، وتسمع من الكلام الحلو الطريف ما يصرف ذهنك عن
التفكير فيما وراءه ، فتنسى فيه ذاتك ، فيكشف لك عن نابه ، فتخسر
ذاتك .

« قوم هم الأذلة الصاغرون ، والنفر المتمشدقون ، والجهلاء
والطاغون ، والنزلاء الغارقون ، فإلى متى يا ترى ، عن غيهم يرجعون
« عظموا في أنفسهم ، فصفروا في أعين غيرهم ، فاستطاع العدو ،
أن يلعب بهم ألعبته ، وينشر عليهم ظله وعدوانه ، ويدس فيهم
كيداً وطغيانه ، وينفث في دائرتهم سموم الفشل والاضطراب ،
ويغتصب من الأراضى ، ويهين من السكرامات ، ويعتدى على الحرمات
ويسلب من الحقوق ما شاء له الهوى ، أن يسلب ويغتصب ، ويعتدى
ويهين ، وأحدث من أسلوب الاستبداد والاستعباد ، ما يقشعر له
وجه السكرامة خجلاً ، وما يضطرب له جبين الفضيلة فرقا ووجلاً ،

فلم يكن هناك بد من اشتعال أوار الحرب ، واصطخاب جيوشها ،
وارتفاع وهيجها ولهبها وكان موضع الحرب فلسطين

« حب النبوة خليق وحده بأن يكون على قلب الأم نارا تضطرم
وسعيراً يتلظى ، وزفيراً يتهلب ، وشعلة تتوقد .

وقد كان لفقد الزوجية ، وكبر السن واحتياجها لعائل يعولها ،
ويقوم بشؤونها ، باعث على زيادة هذا الحب في قرارة قلبها ، أزيد
من كونه ناشئاً من عصارة اللحم والدم ، ولكن الأخبار أخذت
تترى بنسكبات العدو ، وترادف طغيانه وجبروته ، وتتابع قاذفاته التي
لا تبقى ولا تذر ، فتتحرك الضمير الإنساني في نفوس بعض المسلمين ؛
والضمير قوة الإنسان وسلاحه الباطني ، كما أن السيف في يده قوته
وسلاحه الظاهري ، وإن لوخزاته لألما ، وإن لقلقه لمضضاً ونصباً ،
فأخذت تعلو وجه الفتى كآبة الخنوع والخضوع ، لهذا العدو الغاشم
وأخذت تتأرجح في صدره غضبة الحق ، يساعدها حبه الفياض لنصرة
الكرامة والشرف ؛ ودمه العربي ، الحر الكريم ، الذي طالما بيع
هيناً ليناً في سبيل أن يسود الاطمئنان عرش القلوب ، فاجتمعت
كلمته ، وصرخت صرخته ، ودوى صوت الحق في أحشائه حتى
مج الطعام والشراب ، وكره الحياة بها فيها ومن فيها ، وأعلمها كل

صارخة . « راحة الضمير فوق راحة الترف والنعيم » .
 وابتدأ يعد عدته لمشككتين من مشاكل الوجود . وعقبين من
 عقباته . إن كان للوجود مشاكل وعقبات : مشكلة مصارحته لأمه بما
 اعترمه ، ومشكلة إقدامه على الموت حيث لا لقاء .
 وما ثانيتهما بأخف عنده من الأولى . لأنه يعلم ما وراء هذا الأمر
 من اللوعة والأسى . واللهفة والحنين .

* * *

« ما كان يرد على خاطر أن شرذمة من الناس . تقف بجوار
 باطلها . وتصف أقدامها لقدمه . ثم تنادى به حقاً . وتطالب به جداً
 وتعلن عدمه ظلماً . إن ذا حق ينازعك . ويغالبك . ويخصمك ليكون
 جديراً بأن تقف أمامه . وترده ما استطعت . وتكبره وتجمله حتى إن
 انهزمت . ولكن الذى يؤلم ويؤلم عدد قليل . بعدوا عن الحق . بقدر
 قربهم من غرورهم . يريدون حركتك ، ويسلبونك نصيبك ، ويدفعونك
 من جسمك . ويبعدون روحك عنك . ويقاثلونك فى دارك ويدعون
 أنهم الصديق وأنت الضلال .

« قتل الإنسان ما أكفره . ألم يخف لسانه من الذى خلقه .
 فيرجع عن الأخطاء يرتكبها . والهفوات ينطق بها فى كل لحظة . ويقصد
 من الادعاءات المزورة بخرجها ويلبسها ثياب الحقيقة المشوهة . ويقل

من تعمقه في المسكبرة ، لذاتها ، ولو جعلت على الوجة غيرة ، ترهقها
قتره ، ألا إن هؤلاء هم السكفرة الفجرة

. . .

« جلس الفقى يفكر ، فأبعد خياله في صفحات الأيام المقبلة ، فرأى
أن أمة الدوم تفقد بفقده الهناءة في الحياة والتعاون في الوجود ،
والراحة في القلب ، واللذة في العيش ، وستشألى عليها كؤوس الشقاء
وآلامه ، وستفتح لها الأحزان أبوابها على مصراعها ، وهى امرأة
قد قسا عليها الزمان فيما سبق ، فلا أقل من أن يترحم عليها فيما بقى من
عمرها الضئيل

« امرأة هى من الفناء صورته ومن الوجود مثال عليه ، فهى تراكب
من عظام ، بينها أنسجة اللحم العديمة ، وتماسك الأعصاب المهزول
وبذلك كانت تطيقا عمليا لما يعمله السكبر فى الانسان « وإن أى ضعف
تراه ، لابد أن يسكن شفافك ، ويؤثر فيها ، ويأخذ قسطا من تفكيرك
فما بالك بالضعف النسوى إذا كانت هناك صلة بينك وبينه من جهة
لأمومة وما لعب المرأة بالرجل حين يحبها وتسيطر عليه ، إلا من هنا

. . .

« تصور الفقى هذا كله ، تم أطبق عليه جفن عينه الأولى ، وذهب
بعيدا بعينه الثانية ، فتخيل انهزام جيش المسلمين ، وتصور أعلام الذل

تنشر فوق ربوع دولهم ، وتخفق في انحاء دمشق ، البلد العربي الاصيل
فهاهنا ذلك الامر حتى كاد ان يقطع سبيل خياله عليه ، ولكنه تعمق
فيه وذهب به أبعد من هذا فاستعرض أمامه ما أعدده الله للشهداء
وما قرره لهم في الدار الآخرة من نعيم مقيم ورضوان عظيم وفوز
دائم بما لا عين رأت ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر فأخذته
نشوة الفرح وقام وقد قرر في نفسه امراً

...

« صور الحياة تعرض للانسان الحين والآخر . فمنها ما لا ينظر
اليه . احتقاراً له . وفي الوقت نفسه جهلاً منه . ومنها ما ينظر إليه
بعض الشيء : لما فيه من فرح وحزن . ومنها ما يرغمه على أن يتفكر
ويتدبر . ويمحص ويدقق . ويرى السبل للخلاص أو الاشتراك : وهذا
قسمان : ما يترتب عليه الخير المحض : أو الشر المحض : فحينما هم توابع
الروح في الجسم بأمر ما : وتصرف اليه جهدها : وتحول له سمعها
وبصرها وقلبا . فهو من ناحية الأول : حتى عُدَّ لصوابه أجران
ولخطئه أجر واحد : وعندما تتحرك بواعث النفس : وتشور عواملها
على أي شيء . فهو من جهة الثاني . لأنه شر من شر إلى شر . وما
أبرئ نفسي . إن النفس لا تمارة بالسوء إلا ما رحم ربى : إن ربى
غفور رحيم . ولما كان أمر الفقى من قبل روحه وتوابعها . وكرها

عن النفس وعواملها . اطمأن إلى ذلك وهدأ . وقال . لأنقذته ولو
تمثلت الحياة أسداً .

« وذهب إلى أمه . ليقص عليها قصته : فألفاها غارقة في بحر الحى
من الأفكار المظلمة : وسابحة في حزن عميق عميق : لا يعلم مداه إلا الله
فأخذت الحيرة تخالج مكنون نفسه : ودفن أحشائه . والحيرة في ذاتها
ألم وقلق : فاجتمع ألمها وقلقها : إلى ألم نفسه وقلقها : وهى في ذاتها
أنين مرجع . خفي حتى صار عدما . ولكن بعد أن استلب قوة
الظهور . فاجتمع أنينها إلى أنين قلبه وشقائه . وهى اضطراب وتلجج
فاجتمع اضطرابها وتلججها . إلى اضطراب جوارحه وتلججها .

وإذا كان للحيرة لسان تعبر به : فلقد أصبح هو من الحيرة كلسانها
وإذا كانت من الكائنات الحية التى لها ظل وخيال . فلقد صار هو ظلها
وخيالها . لازمها ولازمته : حتى كأنه لا فارقها ولا فارقتها . ولكن
عزلة الحق . وخنوع من حوله من الجبناء : وارتياحهم لهذا الضعف
المهين . جعل كفة إيمانه وقوميته ترجح على الكفة الأخرى . فتشجع
وقال . « أى أمّاه . الحياة واجب : والواجب يحتاج إلى توضيح .
والتوضيح يحتاج إلى التفانى . والتفانى يحتاج إلى الثبات . والثبات يحتاج
إلى النظرة البعيدة . وهى أنت يا أمّاه . تعلين الوطأة التى حلت بنا :

والنازلة التي قصمت جيوشنا . والداهية الدهياء التي أملت بنا ، وتعلمين
أن هناك ثعالب ماكرة . وبطونا خاوية . تريد أكلنا . والانقضاء
على يابسنا وأخضرنا فسلطت علينا هذه الفئة ، القليلة في عددها ،
والضئيلة في ذاتها ، والسافلة في طبائعها ، ولسكنها الكثيرة بذهبها ،
القوية بنفاقها ، السامية بدهائها

يا أمّاه ، وإن بلاداً كهذه البلاد لا يستكثر الإنسان عليها دمه
وعذابه ، وغربته ووحشته ، فإن من الشقاء ما لا يكون الشفاء منه
إلا بالشقاء نفسه ، ومن الآلام ما لا يتوصل للقضاء عليها ، والخلّاص
منها ، إلا بها هي عينها

لا يخلو المرء من لحظات رهبة تمر به ، وعقبات شديدة ، تقف
في سبيله ، فإن تغلب عليها ، وتهاون بها ، نال بغيته ، ووصل إلى
ما يريد ، ونفذ إلى ما يعتزم ، وإن جعل للتردد سلطاناً عليه ، وتدخلوا
في شؤونه ، هلك وأهلك ، وضل وأضل ، ومن هنا المح القوة في
تعبير القرآن ، فإذا عزم فتوكل على الله ، وأيم الله إن لم يكن في العزم
إلا وضع العين بجوار الزاى بجوار الميم لكفى بياناً على عظمتها ، وقوة
خطره ، وشدة تأثيره ، وبيان فضله

ومن مادة الحياة أنها لا تندوم على حال ، ولا تسير على شاكلة
واحدة ، فمن تقديم إلى تأخير ، ومن سمو إلى هوى ، ومن رجوع

إلى ثبات ، فمن سايرها وجارها ، سايرته وجارته ، وإلا هزمته
وفضحتته

« وكانت المرأة على جانب من هذا كله ، وعواطف المرأة لينة
لينة : ولكنها حين تحزم تسكون شديدة شديدة ، وكأن هذه المرأة
كانت حفيذة لأسماء بنت الزمن الأول ، فكانت قريبة منها في روحها
وثورتها ، وغضبها فأرسلت إلى ابنها نفاذة مملوءة بالرغبة فيه ، فخشيت
أن تؤثر عليه ، فردتها مملوءة بالزهد فيه ، ثم قالت

« إني الوحيد ، اذهب إلى ربك ، وأتمم كلمتك ، وفقك الله
وسدد رأيك ، وسيجمعنا الغيب البعيد ، وسيكون اجتماع سعيد ،
ولعلك تذكر معي العذاب الشديد ، الذي توعد الله به من نكص على
عقبه ، والله لا يخلف وعده ولا عيده ، ومن أصدق من الله قила

• • •

« رجولة الرجل شيء طبيعي فيه ، وشهامته من أوائل إسمه ،
وعزيمته من ديدنه وطبيعته ، فليس من الغريب أن تمثل فيه ، وتبلغ
أوجها في دائرته ، وتفرغ أجنحتها حوله ، ولذا كان من النهاية التي
تعب أولاً ووسطاً ، كلمة ، أنا الرجل ، وإنما الغريب الحق أن يهملها
ويرتاح لتخشعته ، ويرضى بأنوثته ، أما طبيعة المرأة ، فهي الخنثى
والعاطفة ، والميول الجارفة نحو ذلك ، والانغماس في هواها ،

والخنوع لضعف الحياة فضلا عن قوتها ، ولذا كان من العجيب الحق أن تبرز امرأة في الشجاعة ، وتثبت أمام الصدمات كهذه المرأة ، إنها كانت بوقفتها هذه خير مثال لشباب الجنان ، وكبت العاطفة ، والتغلب على حرقه اللوعة ، والمغالبة لجهاد الأسي ، وشبح الأحزان

إنها كانت خير آ من رجال كثيرين « فانهطف الشاب على يديها ، يقبلهما ويستعطفها ويستدعيها ، ثم ودعها ومضى ، وأرسلت في عقبه دموعها الحائرات الوالهات ، اللاتي تملثن ما عندها من كمد وما في قلبها من نار ، وما بين أحشائها من حنين ،

. . .

« استبسل المجاهدون هنالك ، وشدوا أزرهم ، ونسوا كل شيء إلا الذي أمامهم وظهر صوت الضمير في أشخاصهم ، ولا أدري ، هل استعاروا من الشجاعة صلابتها وقوتها ، أم هم أعاروها ثباتهم وقوتهم ، فتمثلت فيهم ، فكان الواحد منهم كلا في جزء ، وبمجموعا في فرد ، يطلب الموت ليبعد عن الموت ، ويريد الحياة ليفارق الحياة وانتهت الحرب بخيرها وشرها

. . .

« كان هذا الشاب من الذين أكلتهم الحرب بنارها ، وجعلتهم من وقودها ، والتهمتهم بين أسنانها ، ومزقتهم شر ممزق ، ليجمعهم الله خير اجتماع

« وتقرأ النبأ هذه المرأة التي صارت بعد فراق ولدها ، نائية عن الحياة كأنها لم تمسها نبضة من نبضاتها ، قريبة منها ، كأنها اشتمت نسمة من نسوماتها ، وكان أعظم أمنية لديها هي أن تطلب من الله سبحانه ، أن يريحها من هذه الآلام ، التي كانت من الكشافة شبحاً ماثلاً أمام عينيها ، ومن الرقة هواء ساماً يملأ قلبها ورتبها

قابلت هذا النبأ بشيء من عاطفتها ، وشيء من عقلها ، فسكبت قطرات من دموعها ، ثم قالت ، العين تبيكي والقلب يحزن والله يرحم »
« رحمك الله يا بني لقد كنت باراً لو الديك سمحاً في أحلامك مقتصداً في ضحكك حقيقياً في أمثالك جاداً في كلامك فلتذهب ولك إن شاء الله مغفرة من الله ورحمة . ١

. . .

« تلك صورة من صور الحياة لاطنحتها كثبت ولاطنحتها اهتممت فلقد تبادلا الأمومة والبنوة حتى تكرر ذلك فأصبح من الشيء الهين البسيط وإنما محورها المؤلم وحقيقتها الرهيبة سطرت وابرزت إلى عالم الوجود .

القلب السليم

« لو سئلت : ما أعظم وصف للمؤمن السكامل : وأجمل نعت لبيانه : وأصدق صفة : تلصقها به : فقل . إنه القلب السليم . ولو أردت نعمي الحياتين . والرضوان الأكبر : والسعادة الخفة : فاعمل لتكون القلب السليم . ولو قصدت أن تخلد اسمك في عالم الطهر والنبالة : وترتع في سماء الخلود والكمال : وتصعد إلى ساعة العزة والمجد . فحقق في نفسك معنى القلب السليم .

« إنه التبراق الذي إذا استمددته : مدك بروحه الفيضة : التي تجعلك بشرا لا كالبشر . وإنسانا لا كبنى الانسان . وإنه المعنى الذي إذا مثلته . اختطفك من جسمك يبتك . وأسكنك وأنت على الأرض في جنة الرحمن . وإنه الرحيق الذي إذا شربته . سرى في جوارحك فاثقلها عن الشر . وحبب إليها الخير : وكره عندها الكفر والفسوق والعصيان :

« وإنه الذي سينقذك من أهوال المحشر : يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

• • •

« عرف خطره نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : فقسم شريعته قسمين

إيمان وإسلام : وبين « لا يتحقق معنى الاسلام ، ولا ينبل ، ولا تتم
أو كانه ، حتى يؤسس بالايان الذى هو طهارة القلوب ، وسلامتها
من الشكوك والأوهام ، وقرر

« إذا صلح القلب صلح الجسد كله . وإذا فسد فسد الجسد كله »

« وأيم الله ، إنه حين تفوه بهذه الكلمة ، كانه أسر إلى الوجود
لتعلم أنى اسمدتها من الغيب البعيد ، وسيتفتح معناها كلها بعد الزمن ،
وشط المزار ، واندرست الآثار

« معالم النبوة تأبى إلا أن تظهر فى كل شىء منها ، لتظهر أنها أخص
خصائص المخلوقات ، وأكثرهم فوزا برعاية الله ، وعناية الحكيم الحميد
« أنظر إلى إشراق هذه الكلمة ، وفق بين معناها وحالات القرون
التي توالى بعدها تر العجب العجيب ، ولو كشف لك عن حقيق
مغزاها ، وعميق مقاصدها . لارتبكت ، ثم تصير بعد ذلك محاطا بالحجاب
فان تكلمت لاتخرج إلا لب اللباب ، ولو صمت حار فى شأنك
أولو الألباب

« وإذا كان هذا بالاسالك ، فكيف بالنيبين ، ثم كيف بمسيد المرسلين
والأخلاء والأحباب .

. . .

« وتمثل هذا المعنى فى صحابته ، فكان الواحد منهم رمزا للسمو

وعلمنا للسعادة ، ووضوحا للروح وإشارة للكمال ، وتبينانا للهدى
والفضيلة ، ورحمة وبشرى لنفسه وللمسلمين

« وتصور في أشخاصهم » فأخرجهم من دائرة الظلمات إلى دائرة
النور ، النور الذي يخالج النفس ، فتحاكي روحها ، ويدخل الصدر
فيتمتلئ يقينا ، ويشع على الأعضاء فيلبسها السكينة والطمأنينة والوقار
« وارتسم في أذهانهم ، فحول مجراها من الأفق المحدود ، إلى
الأفق اللامحدود ، وامتد بها إلى ما وراء الفناء ، وأطلعها على ما هنا لك
من نعيم مقيم ، وسعادة لا تنفنى ، وخلود مسطر ، في جنات ونهر ،
في مقعد صدق عند مليك مقتدر

« وتحقق في أعينهم ، فكانت مملوءة بالسحر ، السحر الذي يجعل
الناظر لا يشبع ، والذي يبعث الرحمة في أشعته ، ويحمل اللطف
والرقة بين جوانحه

« ووضح لهم ، أن هذه الأشياء لن تنال بمجرد القول ، ولا بظاهر
الحركات » وإنما لابد لها من جهاد طويل ، ومشاق جسيمة ، وعناء
فيه معنى العناء

فتقدموا في ميدان الحياة على ضوء هذه الحقيقة ، وطبقوها على
كل ما يمر بهم من صور الحياة ، فإن أرادت بطونهم طعاما ، مهلوا
فاذا عضتهم هادنوها ، فاذا ضعفوا عن العمل النقطوا من اللقيات

ما يجعلهم يواصلون . وإن طال بهم الجفن بحقه . تفاقلوا عنه أولا .
 فإذا أقبلت عليهم جيوش النوم . أطاعوه . ولكن قليلا . وجمعوا
 ولكن ضئيلا . ثم تتجاف جنوبهم عن المضاجع . يدعون ربهم خوفا
 وطمعا . ويبيتون لمولاهم سجداً وقياما .

ولو برقت لهم الدنيا بفتنتها . قالوا لها . إليك عنا ، لقد كرهناك
 السكره الذى لا مرأ فيه . وبغضناك البغض الذى لا نستطيع تخفيه .
 ولو راودتهم النفس عن مساوئها ، خطوا فى قراراتها . أنهم لن
 يخضعوا لها . ولن يجيبوا رغباتها . ولن يحققوا آمالها . ولن يسعدوها
 بحظوظها . لأنها تطمع فيهم الشيطان والأهواء . وهم من هذا كله براء
 ولأن سياستها لا يوافق عليها القلب السليم .

« حقا . ما أبعد الفرق بيننا وبين هؤلاء .

بشرٌ كأنهم الملائكة . ورجال كأنهم الشياطين . والكل مسلمون
 والجميع موحدون .

...

« حروف القدر أرادت أن ترسم شخصها بصورة واضحة جليلة
 ليرتاب الذين فى قلوبهم مرض . ويزداد الذين آمنوا إيماناً . فجعلت من
 الولد غير أبيه . وجعلت من البنت غير أمها . ثم خلفت من الشيء
 صورتين يتغيران بحسب الراى ووفق الناظر . ارجع إلى معنى القلب

السلیم فی صدر الاسلام . وفي هذا الزمن .

ظلمات الشهوة أذهبت جلال الحق . وعمه الشك أبطل عزم اليقين
وسلطان النفاق أخضع سلطان الصراحة . وعيون خيم عليها كابوس
القذى ، وأذواق اعتلت من أصلها . فانهارت أشخاصها .

وهذه صورة مصغرة لأناس هذا الزمن .

فما أبعد الفرق بيننا وبين هؤلاء .

« وهل النفس وغرائزها إلا السوء انحصر فكانها . وإلا الرذيلة
تكونت فلصفت بها ، وإلا الشر اجتمع . فاحتاج إلى من يمثله . فرضيته
وإلا المعول الهدام في شخص الإنسان . ورفعته وعلوه .؟؟

« وهل القلب السليم . إلا ذلك القبس الإلهي . يتوسط جسمك
ثم يرسل تياره على بقية جوارحك . ويرسم على كل جارحة صورته
ويطبع عليها بطابعه الخاص ثم يوحى إليها .

ها أنذا قد نظفت . وصلحت لأن أحمل إليك رسالة الإسلام ،
وأنفت فيك نوره وهدايته . وأنشر عليك آثاره وفضائله . وأحب
قوانينه ودساتيره وأغرس في أعماقك شرفه ونبله ، وأقربك من
معدنه النفيس . وجوهره الجميل .

« وما عليك إلا أن تنفذى كل ما أطلبه منك ، وتؤدي جميع
ما أفرضه عليك ، من غير كل ولا ملل ، وتسمع الجوارح فتستجيب

وتقبل نشوى طروبة بما يسديه إليها ، نشيطة فيما تبتغته منها ، راضية
بالذى يود أن تقوم به ، ولسان حالها يقول له ، لا تبحث عن إصلاحى
ولا تهتم بشأنه ، ولا تجهد نفسك فى التفكير فيه ، وإنما ابحث عن
صلاح نفسك ، واهتم بشأنه ، وأطل من التفكير فيه ، فما أنا معك ،
إلا كهم الزجاجة . يظهر للوجود ما فيها . « إن خلا غفلا . وإن عسلا . »

...

« القلب السليم . وما أدراك ما القلب السليم . ؟ »

هو الدائرة اللانهائية ، التى لا يسبح فيها ، إلا من خالص من شوائب
الحياة ونقاؤها واستوى عنده نعاؤها وبأساؤها ، وكان سيان لديه ،
هفوات الناس وحسناتهم وثناؤهم وصمتهم ، وهو الجمال المقنع .
لا ينكشف إلا الذى مرس المعانى كلها ، فطلق خسيصها ، واستمسك
بعاليها ، وعرف فضل الطهارة فترك لنفسه العنان فى التخلق بها ،
وسبر غور الفضيلة فارتشف من معينها ، وارتوى من سلافها ، حتى
تحققت فى كل ما يأتى وما يذر ، وهو الحلقة الشمسية ، لا تنشق إلا
عند تبديد سواد الرذائل المنكرة ، ومحو ظلمات القبائح المشتبهة ،
وهجران عوامل الفساد ، التى تورث الهوى إلى مدارك الانحطاط ،
« وهو الكلمة التى تقول لك : « ميزتك على غيرك سيطرتك عليه
وان يكمل فيك هذا المعنى حتى تكمل أنت ، ولن تكمل حتى

تكون القلب السليم .

...

« لا شيء خير من الخير إلا ثوابه . ولا شيء أبهى من البهاء ؛
وأروع من الروعة إلا القلب السليم ، من كانه كان رحيماً سمحاً ، حميداً ،
صادقاً ، وتلك هي أعظم آثار البهاء .

...

« إذا ظهرت في الانسان ظاهرتة . وتمثلت فيه آياته ، واستطاع
أن يغالب نفسه ، وهواه في سبيله فقل عليه إنه ملاك تنزل من السماء
وتصور بصورتها وتمشي على الأرض .
لا ، بل ، فقل ، إنه الروح أرادت أن تبرز إلى الوجود ، فبرزت
في شخصيته ، وإنه الجمال ، عمد إلى أن يكون محسوساً يلمس ويحس ،
فكان في شكله ، وإنه العالم الذي قطن في السماء ، ولم ينتقل بعد
من جثته .

« وهكذا كان المسلمون الأولون ، فأخضعوا الدنيا على سعتها ،
وملأوها النفوس على صعوبتها ، وكانوا أسطرا من النور : تضيء
بقوتها . وتؤنس بآنارتها ، وتخيف العدو بمادتها ، زلزلوا السكرة
الأرضية بأقدامهم ، وهزوا شوامخ الجبال بصولنهم ، وأوقفوا دولة
الباطل عند حدها : وهزموها وأخمدوا صوتها .

ولها أن تحزن وأن تكتئب . ولها أن لا تحزن وأن لا تكتئب
لأن هذه القوة وإن آلمتها وأبكتها . فليست بأول قوة آلمتها وأبكتها
وإنما هي ككل قوة آلمتها وأبكتها . وعصفوا بما حولهم من الدول
وطاروا بما كان في زمنهم من تيجان . وجلعوا ما كان هنالك من
ملوك . وفرّوا برموس الكفر وجيوشه إلى مهاوى نيران . وقودها
الناس والحجارة أعدت للكافرين . ثم قالوا للوجود . اصدع بما عندك
وقابلنا بما تريد . فلقد علينا القلب التسليم أن نقابل اللين والنعمة .
مقابلتنا للخطوب والعذاب الشديد (١) .

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وإقام الصلاة .
 وإيتاء الزكاة . يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . (ومن
خاف سلم) .

كأنني بهم لو أطلوا علينا من شرفاتهم . فرأوا هذا الملك الضائع
وتلك القوة التي ذهبت أدراج الرياح . وذلك الاستعمار الغاشم الذي
فرض علينا نفسه . وأذل فينا نفوسنا . فتساوم أهله علينا . وتكالبوا
على تمزيقنا . ونجحوا وفشلنا . وتقدموا وتأخرنا . وأنتجوا وأهملنا
وخوفوا بعددهم وغررنا بعددنا وصاروا المنفذين . وصرنا الثرثارين !
لعلهم لم يسمعوا بذلك في مضاجعهم . فأشقى الشقاء . أن ينهار الشيء
بعد أن تعمل فيه مئات السنين .

(١) أى لا يبطرون بها ويأسون منها لمجرد رؤيتها . ولا يتأني هذا إلا
بالعنف والصبر .

إن القلب السليم حين يوجد . يجعل من نفس صاحبه نفساً لا محدودة . نفساً أعمق من البحر وأبعد من السماء وأغمض مما وراء هذا الأفق . أزلية أبدية عظيمة الشئال والخصائص . هذا رجل يسلم قلبه فيريد الجيش الذي هو فيه أن يفتح مدينة من مدائن الكفر والضلال فيجدها محصنة على أشد ما يكون التحصين مستبسلة رجالها على أعظم ما تكون البسالة . ثابتين على أبرع ما يكون الثبات . فيقف الجيش حائراً مشدوها . ومع ذلك فأخذ الرجل يفكر ويقدر ويمحص ويدقق . فهداه فكره على أن ينقب حائط المدينة . ثم يقذف بنفسه في داخلها ويعمل سيفه فيمن حول الباب من المشركين . ومهما يكن في الأمر من خطر فادح . ومهما يكن فيه من خطب بالغ ومهما يكن فيه من جهد شديد . فلن يذهب بأكثر من موته . وما أرخص هذا الشيء عنده وما أبخسه وأحقره . مادام في نهايته فتح ونصر المسلمين

وهل الدنيا إلا صفحة للبو من . فيها حركاته وسكناته . وهل الموت إلا باب خلوده الأبدى في النعيم الذي لا يحوم حوله فناء ولا شبه فناء .

ولكنه ينقب ويخاطر ويفتح الحصن وينتصر المسلمون ، وهو باق على قيد الحياة ، فمذا يجري ، يبحث المسلمون وقائدهم عن ذلك البطل المغوار الذي فعل هذا الصنيع الجميل ، وقدم هذه الأعمال

الصعاب ، ولكنهم عبثاً يحاولون فالرجل قد سلم قلبه من حب الظهور والخضوع للثناء والمحمدة ، فيزداد إعجاب المسلمين وتقديرهم له حتى يجمع القائد جيشه ، ويقسم « ليظهرن هذا الرجل » فيهرب الموقف ويحل ، وإذا بصوت يشق عباب السكون السكون العميق ، ويملؤه الخشية والحياء

وإن أردتم شخصه فما أنذا ، وإن أردتم اسمه فهذا من المحال ، كل عجب له نهاية ، إلا عجباً يتصل بروعة الكمال ؛ فلن ينتهى لأنه منه

صل نفسك بهذا الرجل ، واعرضه عليهما ، ثم تلبس مواضع العظمة في قصته تجد أنها تحاط بسياج حصين من التقدير له والإكبار لشخصه ، ثم تحاول أن تشق عليه فتعجز ، فلا تجد مديحاً له إلا أنه صورة من القلب السليم

كأنه يلقي على السكون ، لا تنظر الى صغر حجمي ، وإنما أنظر الى كثرة خطري ، وعظم شأني وتفهم معنى كلمة (قلب)

...

ان صاحب هذا القلب ، يكون معدماً ويتعفف ، ويكون ضعيفاً ولكن الحديد يلين ولا يلين عزمه ، ويكون وحيداً ، وفي كل جزء من أجزائه قوة الجمع ، لأنه يكون كتلة من عواطف فياضة ، ومشاعر

ملتبهة ، وعقول مفكرة وبذلك يخلد اسمه في عالم القداسة والنزاهة ،
وفي ميدان العظمة الحققة ، والبطولة النادرة

هاك سعيد بن جبير ينظف قلبه من النفاق والجبن ، والسفه
والمدارة ، فرأى من الحجاج ما يغضب قلبه الحى النبيل ، ويسئ
ضميره اليقظ الحر ، فأعلن كراهيته له في أذن الوجود ، وأرسل
احتجاجاته في فم الدنيا ، فيأتى به الحجاج ، ويسأله ما اسمك ؟ سعيد
ابن جبير ، فيقول له ، بل أنت شقى بن كسير ، اذهب به يا غلام ،
وأرو الأرض من دمه ، ومزقه شر ممزق ، فيقف سعيد ساخراً من
هذا كله ، هازئاً بالأمر ومُصدِّره ، ترتسم على ثغره ابتسامة عدم
المبالاة وابتسامة سلامة القلب ، التى توحى اليه اطمئنانه الهادى لهذا
الموت ، ثم ينفرج هذا الشجر عن تلسم الكلمة التى تفسر كل ذلك
(أصابت اذاً أمى اسمى) مشيراً الى حقارة هذه الحياة وتوابعها ورافعا
الى أوج العلا ، التفانى فى سبيل راحة القلب ، واستقرار الضمير ،
اذ أن وراء ذلك عالم الخلود ، وعالم السعادة ، وهالم المجد والحياة
فى جنات تجرى من تحتها الأنهار . يتلوم رضوان الله ورضوان الله
خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

• • •

لو علم قيمته أصحاب الجاه والثراء لطلقوا كل ذلك فى سبيل أن

يتصفوا بهذا المعنى ويصلوا الى لذته ، وينشر عليهم من نوره ويظلمهم
بأجنحته ، استمع قول وجل من أصحابه ، والله اننا في لذة ، لو علمها
الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف

سلامته لا تكون الا اذا نزع كل غلٍّ ، وذهبت كل ضغينة وُحِق
كل أذى ، وقضى على كل عداوة ويعلم الله الذى لا اله الا هو ، أن
الإنسان لو خلا من هذه لأصبح الرجل الذى يستحى الهَمَّ أن يقبل
عليه ، ويستحى الشقاء أن يقدم منه ويستحى اليأس أن يتسرب اليه

...

« الشخص بدونه علامة استفهام فى الوجود ومصدر حيرة لجميع
عارفيه وصورة للاستهزاء فى كل وقت تلعب به الأقدار وتصرفه
الأيام ويكون ليلاً من غير قرأ ونهاراً من غير شمس أو أمة من
من غير قائد فياحسرتاه ان اهترم أمراً ويا سواتاه ان نفذه

...

« ألا إن القلب السليم ، إذا تمكن فى قراره ، كان الماء الذى يخصب
الأرض وينبت الحب ويرويه حتى يترعرع ويخضر ، ويشمر فتأكل منه
الناس وتنتفع به الناس ، وكان النار التى تذيب الذهب ، فتخرجه
نقياً محصاً جميلاً ، والمغناطيس الذى يجذب الشخص إلى السم ،
حتى يجعله نجماً فى السماء ، ثم ملائكتها ثم علماء من أعلام

جنتها ، ويكون بذلك كله ، نتيجة القلب السليم ؛

« وما الإسلام بأصوله وفروعه ؛ وواجباته ومندوباته ، الا نداء صارخ لصالح القلب ؛ وكأنه ينادينا ، حين أرسلت إلى الوجود قيل لي ؛ أنت قوى الشوكة ؛ عظيم المهابة ، جليل القدر ، ما صلحت القلوب ! وأنت مهمل معطل ؛ حسير الطرف ، كسير الفؤاد ، ما فسدت القلوب !

« ومن هنا نعلم تأخر المسلمون ، وانحطوا إلى السيئات ، ورسبوا إلى سبع أراضيا ، ولن ينقذوا ، الا اذا جددوا العوامل ، وسلكوا ما سلكه الأولون

« لقد أصبح اليوم همهم المظاهر وخداعها ؛ وأسلوبهم النفاق ودهاؤه ، ومعاملتهم الدسائس وأنواعها ، وعمادهم الرياء وأكاذيبه ، وحياتهم الفن والاضطرابات ؛ وسياستهم المكائد والسكرامية

وتولد من هذا كله ، تفرق في السكينة ؛ واضمحلال في الرأى ؛ وخور في العزيمة وسفه في الأخلاق ؛ ثم ضياعهم وسط الفيا في حيارى لا شوكة لهم ؛ ولا راية تجمعهم ، ولا طريق تلمهم ؛ وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون .

...

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد ،
فقسمت قلوبهم وكثير منهم فاسقون .

» يا قوم .

انزعوا أهواءكم الضالة من أجسادكم وانبذوا خبائث من قلوبكم
وتخلقوا بأخلاق السماء واعرجوا بأنفسكم إلى عالم السكّال
حرام عليكم أن تميّتوا ضمائركم في ريعان شبابها ران تجعلوا
عواطفكم النيّلة تفتى قبل أن توجد
انكم أن حافظتم على ذلك كنتم القلب سليم .



السائحة الحائرة



هى قطعة من السماء . فيها رقتها وصفافوها ، وفيها سموها وجباؤها
وفىها معان كأنها نجومها : وفيها قوة كأنها قانونها : وفيها ضياء كأنه نعرها
وفىها بهاء كأنه بدرها .

نزلت إلى الأرض لا يأمرها : وشعت على الوجوه : من غير
إفنها . وما تدرى إلا وهى فى الجو سائرة . وما تشعر إلا وهى على
الأرض حائرة .

فأرادت الرجوع ، فلم تساعدها المقادير : ونوت الإياب .
فلم تسعفها المعاذير . وهل ينزل من السماء إلا الفضيلة ؟ وهل يصعد (١)
من الأرض إلا الرذيلة . فبهيات طلبتها . لأنها نفس المستحيل . ولتقمع
بما هى فيه . لأنه أمر الله الجليل :

وبعين هذا نفذ المستطر : رضيت أم أبت : بجرار البشر : إنا كل
شئ خلقناه بقدر : وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر .

وأنزلت الفضيلة من سمائها : كما أنزلت حواء من جنتها : وإن كانت
الفضيلة لم تهف كهفوتها : وإن كانت حواء لم تصبح كبشرتها .

(١) أما قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب . فهذا بعد نزول الفضيلة .

ولكنهما نفذا الحكم اللبرم : وطبقا دستور الإله المحكم .
وهل الفضيلة إلا سماحة باختيار : وهل حواء إلا جنة ونار .
اجتمعنا فزجتا : فكانتا المرأة : وأتتهما النفس ثالثة . فخرت
فيهما . فكانت الخطأة (١) . « فسبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت
الأرض . ومن أنفسهم . وما لا يعملون . »

« وسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون »
وفارقت الفضيلة حواء . بعد أن تركت آثارها معها . وبعد أن
بينت لها . أنها لم تفارقها بغضا لها . ولا زهداً فيها . وإنما لتأخذ فكرة
عن بقية العالم ، وتستطلع خباياه وأسراره . وتلقى في فضائه اليقظة
والحرارة . وتبذر فيه حبها ونباتها : وترسم عليه حدائقها وجناتها .
وتفرغ فيه بهجتها ورونقها . ثم لتمخط على صفحته . « من اتبعني .
فانه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم »

رساحت الفضيلة سيحتها . حتى تقابلت مع أخويها الغربيين الحارين
تعانقوا تعانق الأخوة . وتصاحفوا تصاحفاً . ولكن لأمر ما . كانت
هي أكثر استقبالا لهما وأعظم إقبالا عليهما . وأشد شغفا بهما .
ثم طلبت حواء يوماً . أن تحدثها الفضيلة بشيء من عندها . فقالت
حينما انحدرت من عالمي لم يخفف من وطأتي بعض الشيء . إلا أني

• (١) أي زلتها في الجنة .

سأرى عالما جديداً وخلقاً جديداً وسأكون سبباً في سعادة من يتصل
 بي ويعمل بشريعتي وديساتيري وهنا تحركت حواء وقالت دليلاً دليلاً ،
 ماهذه الديساتير ، وما هذه الشرائع فقالت لها إنها كلها فيك ولكن
 لا تشعرين ، اليس إذا غاب زوجك تحسبن بنقص رسالتك إذا لم تحافظي
 على غيبه حفظك على مشهده وإذا لم تكن في نفسك مشقة وصاله ،
 والاجتماع به

ثم أليس إذا حاولت نفسك ارتكاب منقصة أو كبيرة احسست
 بقشعريرة في جسمك وانتفاضة في جوارحك ووخزة في قلبك وحركة
 في ضميرك ، ثم أليس إذا رأيت أو سمعت ما يؤذيك ، أحببت أن
 تجهدي نفسك في إزالة ما أغضبك ، لكي لا يثير غضب غيرك

ثم أليس إذا وصل إليك أن أحداً عمل خيراً ، أو صنع جميلاً ،
 شعرت بميل إليه ، وتقدير لفعله ، واكباراً لجميله

ثم أليس إذا وقعت منك هفوة أو صغيرة ، اشماززت وتألمت
 حتى تضيق الأرض بما رحبت عليك ، ثم تندمين وتستغفرين

فأنا بعيني التي أحدث فيك كل ذلك ، ولولاى لما قدس الناس
 الحسن ، ولما تباعدوا أو أظهروا التباعد عن القبيح

وأنا بعيني التي أجعل المادة تصغر في عين من عرفنى ، وأقلل من
 شأن الشهوات الزائلة في نفسه ، فان كان حاكماً عدل ، وان كان تاجراً .

أو صانعا صدق وأوفى وأنا بعيني التي أحفظ على الإنسان إنسانيته
العالية ، ولا أدعه يتخبط في محيط غير محيطها وأنا بعيني الحصن المنيع
لأهلى أزود عنهم وأحمى حماهم ، من دخل تحت كنفى ، أمن جهل
الجاهلين ، وجنبته عثرات الحق : وصننت له العقل والرشد ، والسمع
والبصر ، فهو بى لا يضل عن الجاده ، ولا يزيغ عن الصراط السوى
من كنفته فهو الرجل الفاضل وحسبه بهذا اسما ، ومن لم أكنه
فهو تنافه الحقير ، ولو امتلات خزائنه بالذهب والدنانير ، أنا بعيني ،
الباقية الجميلة لأزهار السجاييا والخلق ، وإذا أطلق الواحد من لفظى
كان مجمع الفضائل كلها

وكأن حواء طربت لهذا الحديث الأخاذ ، فراحت تقبل الفضيلة
وتستحلفها أن تحنو على أبنائها ، وتشملهم برعايتها

فقالت لها ، يا حواء ، اتعلمى أيتها « الفاضلة » وأنا معك الآن
أننى ، أقطع العهد والميثاق ، لأكتشفن بالدعاية والصيانة ، كل من طلبنى
من أبنائى ، ولأخصنهم بخصائى ، فما تنزلت من سمائى إلا لهم
ولكل منهم عندى حظوقه ولكن بقدر ماعرفنى وتمسك بمعانى
ماعرف فللرسول درجته ، وللتبى منزلته وللعالم العامل قيمته
فالناس عندى منازل ، ولكل بقدر ما عقل .

ما أجل الإنسان ينظر إلى أصله . فيجده من حمأة مسنون ،
فيستشعر نقصه . ويصغر أمام نفسه . فيبدأ تسكين طينته بخلقه ويحاول
سترها بطهره . فهو من نفسه خجول . حتى يتم ما بدأ فعله أن يحتمل
ويحتمل ليسمو بأرضيته إلى عالم روحه .

ويخاطب السكون . لأن كنت من تراب ، وهذا هو الأمر الذي
لا أستطيع له ردأ ، فإن بقيت من خلق وروح . والخلق إذا امتزجت
بالروح كانا في كنف الفضيلة . ورعية من رعاياها . والفضيلة من
السماء نازلة . وأنا بها صاعد إليها . فلترحل عن النفس وساوس
طينها وترابها .

وما أبدعه يعتمد إلى نفسه . فيجعلها مرآته ينظر فيها بالعين
الصادقة فيكشف قناع نفسه بنفسه . ويهتك عنها لباس الخداع . ورداء
التضليل ولا يتركها حتى يضايقها نفتيشا وتنقيبا . فإن ألفاها قبيحة .
استحيا من منظرها . وان رآها غير ذلك استحيا وخجل . أن يشوه
جمال حسننها بقبح . وان يفرط في روعتها . وان يطعن في رونقها
وبهائنها بنقص .

ويتماد إلى روحه : فيشع نورها على ضميره ووجدانه : ويسكبه
على مشاعره وأحاسيسه : ويفيض من سموها على تصرفاته وأفكاره
وأعماله وأقواله : ويعتمد إلى عقله فيقول له لا تبرح حدودك : ولا .

تتعد مقامك : ولا تخن رسالتك : ولا تلزم الشطط في جولاتك
ولتحسن القيادة . حتى تستحق السيادة . ولتعلم أن مسئوليتك خطيرة
وليست بالهينة اليسيرة فأنت إذا طغيت : ضللت وأضللت : وفسدت
وأفسدت : وإذا عجزت هلكت وأهلك : وتعطلت وعطلت :
وإذا توسطت . اهتديت وهديت : ونجوت فنجيت

ويعمد إلى العاطفة : فيسلم قيادها للعقل . ويحكم زمامها . ويقعّمها
رغبة في الخير : وحبا في الرفعة والسمو .

ويعمد إلى قلبه . فيمنّبه وإن كان غير نائم . ويوقظه وإن كان غير
حالم . ويغرس في صميمه شجرة الايمان . ثم يلقي عليه . أيها القلب .
كن القلب الساكن الثابت . الذي لا يهمله ثرثرة اللسان . ولا ترهبه
ضخامة التهديد . ولا يثنيه عن عقيدته شيء .

كن القلب الرهيب . الذي آمن بخصائصه وعجائبه . فخرق العادة
وحطم قوانين الطبيعة .

ألا إنه ليست في القوى التي سخرها أساطين العلماء والمخترعين
قوة تماثل قوة القلب الحي . والضمير الأبى .

* * *

إن الانسان حين يكون كذلك . يسيطر عليك سيطرته .
فتعلق به ولا يزيدك القرب منه إلا تشبثا في صحبته وتصفحه . فتجده

مضطورا من الحقائق المبهجة . وكلمات من المعاني العالية الرفيعة . وتنظر إليه . فتبصر سحر الإيمان في عينيه . وصورته مرتسمة في جبينه وحلاوته ملفوظة في لسانه . وسكينته تفيض في حركاته . فلا يسعك إلا أن تقر معي . بأن هذا هو الفخر كله . وهو الخير كله : وهو العز كله : لأنه الفضيلة بعينها .

أجل : ما أحلى الرجل إذ يكون الفضيلة : وتكونه الفضيلة : أنها وحى والهام . وان الطبيعة صمت وكلام . وكأنها إذ ابتدأت بالآلف وتوسطت بالياء . تقول للطبيعة . أنا أنت وزيادة .

يامثال الفضيلة في السماء . إنك حين تشرق تدمج ما حولك من النجوم في هالتك . ولا تبقى من الظلمة شيئا يحيط بك : وتظل تضيء وتضيء : حتى لا يبقى في الآفاق ظلام إلا أزلته وبددته . فما للفضيلة في الأرض . تطلع وتنير ويلعب ضياؤها في الانسان من حين الى حين . ولكنها لا تخفي ما يحيط بها من الرذائل . ؟ ذلك لأنها رأتها ليست أهلا لها . ثم نظرت اليك فأودعتك روحها . فاكسبت ما اكتسبت من طهارة ونبل . فأنت بها تعمل . أما هي فقد بقيت فينا من غير روح : مادة مركبة من مادة أو جسما مكونا من ضلوع : ولذا فإن أهلها يحدون في النظر الى القمر لذتهم .

إنها لزورى . فما أحوجها إلى من يزيل غصتها . وإنها لمشرفة هلى
الغرق . فما أحوجها إلى كريم أبى النفس ينقذها . وإنها السائحة الحائرة
فما أحوجها إلى من يعرف فى قلبه معانى رغبته فيهدىها السبيل السوى
والطريق المستقيم .

ألا ما أقسى السكون على الفضيلة . وما أحوجها للرتاء . نزلت
مشرقة الوجه باسمعة الثغر . طاقة مطلقة : فأصبحت اليائسة المسكينة
المخللة الموصدة ، وتدلت وهى تظلل الفضاء فصارت نقطة فى محيطه
وعاملت الأرض بأخلاقها : فقابلتها الأرض بترابها . وقالت لها
لا تنتظرى منى غير هذا .

وقدمت للانسان أيادها البيض . فإذا هو معها . كشأنه مع ربه
خصيم مبين .

ما بعث الأنبياء ولا المرسلون : إلا لتدعيم أركانها . وتأسيس
بنيانها . وإظهار معانيها . ومن نظر فدقق : وبحث فأمعن ، لوجد أن
جميع رسائل الأنبياء تنطق وتقول ، ما الإنسان إلا فكرة . وما
الفكرة إلا إلهام : وما الإلهام إلا يقظة الضمير . وما يقظة الضمير
إلا صبغة الله . وما صبغة الله إلا الجلال السكى : ينبعث فى المرء :
فيصقل ما فيه من المعانى الخسيسة . ويجعله اللطيف النقى الطاهر الجميل

ليس الغريب في هذه الحياة رجلا ينتقل من مكان الى مكان .
ولا رجلا يتلمس فتات الناس . وبقيا طعامهم . ولا سهما طاش :
ففارق حدود بندقيته . وانما الغريب الحق : الشجاعة عند الجبناء .
والبذل عند البخلاء . والحياء عند الوضيعات من النساء . والفضيلة
عند جمع هؤلاء .

يا قوم : لو شاب جنين في بطن أمه : أو جنّ طفل قبل وعيه :
لا يكون عجبته شيئا : بالنسبة للعجب من ايداء الفضيلة لأنها فضيلة
فيا أيها السائحة الخائخة . رفقا بنفسك : فإن الذهب لا تنقصه غشاوته
وان اللبن . لا تغيره رغوته . وان عظيم الدّرر لا يهمله تعكير البحر ،
ويا أصحاب النفوس الطيبة . لا تحسبوا أن ندوركم لسوء فيما اتصفتم به
وانما هو القذى يطفو على العيون . فلا ترى الأشياء الا محجبة عن
عن حقائقها . ويا خبيث الكون وزبده . لتعلم أنك بغيض بغيض .
ومهما أظهرت الحسن وكثر أعوانك . وزاد أتباعك : فأصلك الظلمة
وعاقبتك الندامة .

السعادة وزوجها

٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥

« السعادة ورده محاطة بأشواكها . خلاصتها مرح القلب . وبهجة
الفؤاد : وأثرها ودليها : ابتسام الثغور : وضحك العيون .

ولكن أتراح الحياة وآلامها : وأحزانها وهمومها : وشروورها
وبلاءها لا تجعل هذه الوردة تشرق إلا أفلت . ولا تنير إلا خفتت .
ولا تتلألأ إلا خبت . ولا تآرج إلا قطفت وقطعت .

وزوجها الم : فهو خدنها وألفها : وبعائها المسيطر عليها . وبذلك
كان قوة غلبة . لها قالب من الشؤم والسكابة . يصب فيه كل أسباب
اللذة والهناءة : ثم يصهرها ويصوغها صياغة من جنسه : ويطبعا
بطبائعه ويميزاته وخصائصه . وحينئذ تلد السعادة من زوجها صنوفا
من البلاء والشقاء .

فهو صندوق شره . لا يزيد كثره الوارد عليه . الا شراهة وطمعا
وهو الحيوان المبطان . لا يدخل بيت زوجته الا ليقرب كيانه . ويأكل
ما وقعت عليه عيناه من طعامها ومتاعها . ومتى أكل شيئاً أخفه . ثم
يهضمه ويهضمه . حتى يحمله معنى من معانيه .

« أجل . انه الكابوس اذا خيم لف الأرض والسماء وما بينهما

في حلقة أضيق من سم الخياط . ومثل الانسان في دائرته كمثل الفكرة
احتبست في لسان الآخرس . بعد أن شعت في عقله وارتسمت في
ذهنه . ثم انحدرت لتباً للتعبير . ولكن أنى لها وكيف ؟

« وحينما يغمرا لهم انسانه . يفرض عليه سلطانه . كما يسيطر
النعاس على جفن طال سهره . والحب على قلب فطرى طبيعى . وكما
سيطر البحر على مافيه من الأسماك الصغيرة . فلا هى تستطيع أن
تسير فى أسرارها . ولا هى قادرة على الخروج منه .
ذلك هو سلطان الهم . والغريب الغريب أنه لا بد منه . لأنه
ضرورى الوجود . كما أن النار ضرورة الآخرة .

* * *

العاطفة والحساسية والشعور . ثلاث مركب فى الانسان . سكب
فى جسمه . واختلط به حتى اندمج . ورق فى لطافته حتى امتزج .
وبالغ حتى شفى وانتسج . ولو سألته . ماذا تحب . ؟ لأجابه بصمته
وكلمك بهمس . فجوابه فى العيون معناه . وهو فى لفاتها همس . وهو
تفسير للخوف والفرع والاضطراب . مخافة أن يسمع به ذلك الطاغية
الجبار فيرسل جنده فى طلبه . ويجد فى الأقبال عليه . فتجمد العاطفة
وتألم الحساسية . ويمرض الشعور . ومن هنا كان الإنسان مكبلاً
بأغلاله . ومقيداً بقيوده . وفزعاً منه فى كل وقت . يخاف من شبحه
فى كل حين .

وهل فى الدنيا خير محض : أو شر محض وهل كان البؤس
مختتما بالسبين الا لتصلح لبدء سعادة ، وهل توسطت الميم الأمل الا لتكون
نهاية الألم هكذا نظام الحياة ، ودستور الطبيعة : يأتى أن تعرف الأشياء
الا بأضدادها ، فلو لا الشقاء ما كانت سعادة ، ولو لا الليل ما كان
النهار ، ولو لا الظمأ ما احتاج الناس الى الرى ، ولو لا الظلمة ما كان
للنور بهاء ، ولو السعادة ما كان زوجها

من معانى زوجها وبؤسه . وقسوته وفضاعته . ومن ضعة ذويه
وذلم . وصغارهم وهوانهم . تلتبس عظمتها . ويشع ضوءها ويظهر
فضلها . وينبل معناها . وترتفع قيمتها : وتعلو منزلتها ويحلو ذكرها :
ويعشق اسمها : وتلد حقيقةها : كالشمس تعرف قيمتها كلها جن الظلام
وكالعقل يشعر الإنسان بوجوده وفائدته عندما يرى حركات السكارى
والمجانين . أما أنت أيها الهم فبؤسا لهائك وميمك منك : وبؤسا لك من
هائك وميمك : فلقد خالفت الحدود المرسومة لك : وتعديت الحقوق
وأهلها : وتكبرت على أعز عزيز . وأعظم عظيم .

• نظام أملك (١) الوداعة والهدوء . والإنتاج النافع الساكن

ولكن نظامك أنت القلق والاضطراب . وبلبلة الأفكار والتردد في تافه الأمور وفاسدها .

« منك اشتقت القسوة . وعنك نشأت اللهفة . واليك ينتهى وصف اللوعة : وفيك مبعث الشر كله : وأيدت الآن تشارك الوجود في كل أفعاله : وفي حركاته وسكناته : فوق الجبال تكون : وفي أعماق البحار توجد : جعلت نفسك في عواصف الرياح : وعلقتها تحت سقف السماء : ومددت يديك فسددت المشرق والمغرب : وحاولت أن تتواري وتسكن في لؤلؤة رابعة (١) السماوات فبدت منك أجنحتك تهيم من فوق الأرض لانجد لها مكانا يسعها : فمالت بسوادها الفضاء . فقبحا لك من عاق فاجر : فقد وضعت نفسك في هذا الموضع الشاهق : لترى وتشاهد كيف تنقبض منك النفوس ، وكيف ترتعد منك الفرائص وكيف تهلع منك القلوب ، وتضطرب المشاعر ، بل وكيف تخشى أنت من نفسك فتتواري خلف الشمس

شاء الله في سابق الأزل ، وقضى في مكنون غيبه وعلمه ان يجرى الهم في مجرى قانون النشوء ، وان يسير في مسير دستور الارتقاء

(١) المراد بها الشمس وفي كسوفها في بعض الأحيان صورة لسيطرة الهم حين يكون .

ها هو يعلق بالملائكة الأطهار ، ويحتل مكانه فيهم ، وينقل عليهم بعض اللحظات ، حين أخبرهم العلى القدير بأنه سيوجد في الأرض خليفة . وها هو يعلق بهذا الخليفة الكريم عليه الصلاة والسلام . عندما يرى نفسه وحيداً في جنته . وها هو يعلق بضلع (١) من أضلاع الخليفة عندما يريد الله تنفيذ قدر التفريق . فتفرق بينهما يد القدر . وتضرب الحياة عليهما ضريبة الخوف والحذر . وها هو يرسم في ذهن ذريته . ويتغلغل في أجسامهم . ويجرى مع الدم في عروقهم . فيخرج منهم ظهوراً مقوسة . وأجساماً نحيلة . وقلوباً هزيلة . وأعيناً سقيمة ونفوساً حزينة . وعزائم خوارة . وإرادات ضعيفة . لا تستطيع إخراج ما أرادته إلى حين الوجود . ثم تجمع هذه الانقراض البالية بمعانيها الرديئة . ويصور من هذا الخطام الفاني « أشخاصاً » يعدونهم من الأحياء وهم إلى الموت أقرب . من رآهم كان عليه أن يكتب ويحزن ومن نظرهم كان عليه أن يطهر عينيه بالدمع منهم . فهم أولى بالرائة من أن ينظر إليهم . وهم أحوج للنظر من أن يرثى عليهم . وبذلك كانوا التمثال الحى للشقاء ، والتمثال الجامد للسعادة

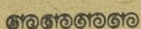
مجموع كلتي سعادة وهم . هو بعينه . مجموع كلتي نساء وأرض : ولكن أربعة السماء اقترنت بأربعة السعادة . ولم تترك لنا إلا حرفاً

واحدًا : وكأنها تقول لنا ، يا أهل الأرض ، لما فيكم من ظلمات
البغض والآنانية . وآثام العداوة والبغضاء ، ومنكر الظلم والشحناء
لما فيكم من الإغراق في حب الذات وتقديسها ، والانغماس في التوافه
والثرهات ، والتنازع على ضئيل الماديات ، لما فيكم من الحيوانية
الحقيرة ، والبعد عن الإنسانية العليا ، والتنزل عن درجاتها ، ولما فيكم
من صفات وضیعة ، لا يحصيها العد . ولا يحيط بها الحد ، لاتصلحون
أن تكونوا مأوى للسعادة ، ولا تستحقون أن تكون ظلًا لكم ،
ولا يليق أن تكون سلامًا لقلوبكم : ولا يجدر أن تكون طمانينة
لنفوسكم . فيا أسفاه يا أسفاه

أيها السعادة ، أنت في الجهة المسيطرة على الروح ؟ أم أنت في
الجهة المتصلة بالقلب ؟ أم اختبأت عنا ، ضنا بذاتك : وترفعاً عن
طالبك ... ؟

مهما تختبئين فستظهرين : ومهما تحاولين فسيكشفك العقل الانساني
فسبحان الذى خلق ونظم ، وسبحان الذى علم الإنسان ما لم يعلم

مدرسة المروءة



« هي مدرسة : لاشهادة فيها : لأن أول أركانها أن لا يعمل الانسان إلا لذاتها وفصولها غير مجسمة : لأنها كل خلق حميد . وهي معانيها . وكل إنسانها ناظرها (١) . فلا فرق عندها بين أفرادها .

« ومن قوانينها : لا يدخلها إلا كل شغوف بها : فإذا دخلها : خرج منها الرجل الذي يشار إليه بالبنان : والعظيم الذي يكون ملتحق القلوب والآمال : والساجر القدير لكل من حوله من الرجال : والمسيطر بعمله وفعله : على ماعداهما من الأعمال والفعال .

« ومن الناس من لا يحسن الفرق بين الانسانية والحيوانية : فلا تجده إلا مثلاً لصورة الجمود الذي آخر حروفه النطق : والحي الذي منتهى الدليل على حياته حركته : ولم يكتسب إنسانيته إلا لأنه لم يأكل إلا (٢) الذي جعله الله من قسم الحيوان .

« ومن الناس من يجيد التفكير . ويبدع التدبير : ولكنه جعل من شروط إبداعه قصره على دائرته . وحده في محيطه . وانتهاه

(١) ليس المراد ناظر العين . وإنما رئيس المدرسة : والمعنى أن أشخاص المروءة لا فرق بينهم في المظاهر . وإنما في المعاني .

(٢) أقرأ قوله تعالى . وفاكمه وأبأ : متاعكم ولا نعامكم .

بانتها منافع ذاته . وسوى ذلك عنده : تضحية لا قيمة لها : أو عناء
لا طائل تحته . فيعيش مع الناس : وهو ناء عنهم : يأخذ منهم كفايته
ويقتصر عنهم خيره : ويشاطرهم في نعمائهم . ويهجرهم في بأسائهم .
ويواسيهم في رخائهم : ويشمت بهم في شدتهم . ويظهر لهم الخلاوة
في لسانه : ويبطن لهم السم تحت نابه .

« والأقل القليل من الناس ، يعتقد أنه لم يوجد لشخصه : ولم
يخلق لذاته . فيبحث في معنى الانسانية : فوجده السلسلة التي تربط
الغير بالغير : وتوصل الطرف الأول بالطرف الأخير .

« ووجده السماء التي نجومها بنو الانسان . ففهم أن الناس كلهم
سواء : مثلما نرى نحن أن النجوم كلها سواء (١)

وعرف أنه الشعاع الذي لا يكمل إلا باجتماع ذراته . فاذا انقطع
منه بعضها كان التأثير بقدر ما قطع . « فاستخلص من هذا كله . أن
الحياة الحققة : هي الفناء : ليبقى الناس . والشقاء ليسعدوا . والالم
ليرتاحوا ، والانسكار ليظهروا . فيكون كالمصباح . يحرق نفسه .
ليمد الناس بأنارته وضيائه . وكالشمس : لا تتغير عن مبادئها : ولا تبطن
من منفعتها : وإن جحدتها الناس . وتركوها وأهملوها . فحبها الجميل
لذات الجميل « وهؤلاء هم أصحاب المروءة . الذين شغفوا بها . فالتحقوا

(١) هذا يحكم الغالب . وإلا فقي النجوم ما هو أزهى من غيره .

بمدرستها ، فصاغتهم أشخاصها . وصقلتهم بحاسنها . وصهرت ما فيهم
من معاني الحساسة والدناة . ثم رفعتهم إلى سماءها .

« سماء الأخلاص الذي لا يشوبه رياء . وسماء الفضيلة التي لا تنبت
إلا الفضيلة . وسماء العزة التي لا تعرف الدهان . وسماء الكرامة التي
لا تفهم إلا معناها . وقالت لهم .

« مادمتم ملتحقين بمد رستي . فلا تنزلوا من سماءي . ولتنظروا
إلى أهل الأرض . كما ينظر النجم من فلكه إليها . فإذا مر عليكم غبارها
وعواصفها وأذاها . فردوا كل ذلك ردا جميلا . فان لم يبعد عنكم .
فغضوا الطرف عنه . وحسبكم أنكم في سماء . وهو صاعد إليكم
من أرض .

« بدائع الكون تتلاقى في عالمها . فتنبت ما يسر وما يبهج . وتخرج
الجمال من بينها كما يشرق السحر من شفق المرأة ، وكما تنسل الخيلاء
من حركة الغزال ، فهي بديعة تنبثق من مثلها

وكذلك المروءة حينما تنبثق من الإنسان

« وعندما ينبثق شعاع الروح في الجسم ، يعقل المرء ويفهم ويحسن
ويشعر فإذا اجتمع هذا الشعاع إلى شعاع الأخلاق الفضلى ، قوى
تياره ، وزاد تأثيره ، فينبل العقل ، ويسمو الفهم ، وتكثر الحساسية
ويرق الشعور ، وكذلك يكون الرجل ، حينما توجد فيه المروءة

« وقد ترى السماء ، حتى تراها كأنها مستحيية من نفسها ، ولا يسمعك حينئذ الا أن تحكم بروعة منظرها ، ومن هنا ، كان جمال المروءة عظيما أيما عظمة اذا استحيا من نفسه ، وفي هذه الحالة بالذات يكون مستحقا لأن يوصف بالمروءة

« جلت المروءة معنى يشع على قلب الانسان ، فيذهب غله وخبثه وتذيب حرارته مكره ودهاءه ، ويشرق على نفسه . فينفث فيها الشعور بنقصها لتكمله ، والحب للخير فتفعله ، والارتياح للمعروف فتتصف به ، ويغرس فيها القناعة لتفضلها على كل شيء ، وينسكب على عاطفته ، فيجعلها الحساسة إلى أبعد حد ، النبيلة إلى أقصى درجات النبالة : الفياضة إلى منتهى دوجات الأفاضة

« ثم يقول للروح . « تعالى لتتحد . فتؤثر على مظاهر من الحركات وما بطن ويتمازجان . فلا تدري . أترجع الجمال إلى الروح : أو المروءة « فهما كمرأتين . كبرت إحداهما . وصغرت الأخرى . ثم وضعت الثانية أمام الأولى . فانعكس كل منهما في الآخر . فالناظر إلى كليهما حينئذ .. يشعر كأنها مرآة واحدة . وهنا روعته ودهشته . ومن هنا يعرف ، كيف انسكبت المروءة في الروح ، فلو نظرهما ناظر لا يستطيع أن يميز بينهما

إن المروءة هي المرأة بمعنى جديد عجيب . ما ألفتته الطبيعة ، .

وما أدركه البشر ، فهي مرآة جديدة في فعلها وسحرها ، جديدة في قانونها وطبعها ، من اتخذها نبراسا ، صهرته في بلورها : وأسكنته جوفها . وغسلته بخلاصة أشعتها : حتى يصفو ويخلص . فتطفو به على وجهها ، وتبرزه للناس صافياً شفافاً ، فيكون أمامهم من الحنان والرقّة بحيث يرون أنفسهم فيه ، ويعتقد كلٌّ من جلسائه ، وإن كثروا : أنه منغمس في ذاته : متغلغل فيها ، حتى إذا نطق بكلمة خال هو أنه بلحمه ودمه حرف من هذه الكلمة ، لأنها خرجت من بين شفّتيه يا حسنها يا حسنها .

رحم الله ابن الخطاب ، يقبل عليه رجل فيحدثه بأنه يريد طلاق امرأته ، فيسأله عمر ، لأى شيء تطلقها : فيقول الرجل ، لأنى لا أحبها وتثور نفس عمر : فيقول إذا كانت كل البيوتات بنيت على الحب ، فإلى أين تذهب المروءة .

وما أعجبها من كلمة : تصور لنا الغرض الوحيد من هذه الكلمة فهي تشرح لنا أن المروءة هي جهاد النفس . وصدّها عما تسوله من السوء ، وهى الخلاصة التى لا تقبل زبداً . والصفوة التى لا تتحمل الرغوة ، والجوهر الذى لا يجب أن يدنس ويلس بأذى .

وهى المعانى التى إذا حرصت على تقديرها ، ضعفت أمامك وانزوت في ذاتك . كما ينزوى البدر في شعاع الشمس إذا أصبح صباحه . وإنها

أيضاً لتصور أغراض ابن آدم : وضعفه أمام الهوى . واستسلامه
لأساره وقيادته .

آه ثم آه لو عملت الألسن اليوم بما تتمشيق به في كل آونة وتبرزه
من ظاهر شفقتها . وترسله في خادع أساليبيها .

آه لو وفرت بعضاً من هذا القول : لتضاعف به جهود العمل :
فيرى أشخاصها مقيمين لأسس الأخلاق الحميدة ، تاركين ادعاءهم
الباطل : أنهم آباء المروءة وأجدادها : والمحافظون على شرفها ومعناها
ألا : وإن قوماً تمسكوا بأهدابها : وجاهدوا في تعليمها لهم السعداء
حقاً : والأحياء حقاً .

فإذا كانت زينة السماء نجومها . وزينة الحدائق أزهارها : وزينة
الجمال روعته ، وزينة الحب متعته فإن زينة الإنسان عقله ومروءته .
لعل نسيمها يحدد هبوبه : ولعل شذاها يعمم دائرته : ولعل
الناس يلتحقون بمدرستها : فيحيون شعورهم ، وينتقلون من عالم
أرضهم الى عالم روحانيتهم .

إنها السمو الخالص والخلق الرفيع : والقطرات المصفاة .

النهره المسيطره

٢٥٢٥٢٥٢٥

« لئن كان لآدم فضل على المرأة بأخراجها إلى عالم الوجود : فلقد كان للمرأة فضل عليه . إذ حببت هذا الوجود إليه . وجعلته أمامه جنات ونعيا . وعليه روحا وريحانا . وله بردآ وسلاما . » فإذا تكلم الأدباء اليوم في المرأة . ويمم الباحثون شطرها . وإذا أحبها الإنسان من شفافه . وصرف إليها بعض أفكاره . وإذا كان هم بعض الناس تحليل المرأة . وعواطف المرأة وغرائز المرأة . فلا عجب في هذا كله لأنه . لا غريب أن يكلف الأبناء بما كلف به الأب : وأن يفرقوا في حب ما اغرق في حبه الأب .

« وإذا كان علماء اللغة أوجبوا ظهور الفتحة على الياء : وقالوا في ذلك : لتتعاذل خفتها مع ثقل الياء .

أفلا نأخذ من ذلك وجوب وجود المرأة : كي يتناسب مع ثقل الرجل وجفائه وغلظته . لينها وهدوءها ورحمتها ؟ .

« عجيبتها الأولى خضوعك لها : وعجيبتها الثانية : رضاؤك باستبدادها فيك : وثالث عجائبا : تحويل مادة هذا الرضا إلى معاني

الاضطرار والعجز والاستكاة . ومجموعها . حبك لها . ورغبتك فيها . وإلا فهي أمامك مطلق إنسانة .

« وكأنها إذ انشقت من الضلع : تريد أن تقول : المحو الفرق بيني وبين رجلى فهو من خالص اللفظ وأنا من خالص المعنى .

وكانها إذ خرجت إلى عالم الوجود . تريد أن تقول :

« إما أن تعرفوا قيمتى . وأما أن أرجع إلى مكاني ولا أبالي .

« وهل كبرياء المرأة وسطوتها : ونفوذها وأرادتها . وحدتها في معاملتها إلا تقدير لهذا المعنى ؟؟ » وهل صبرها عند القطيعة . وتمنعها وقت الرغبة . وتعمقها في هجرانها . إلا حاشية على هذا التقرير .؟؟

« ما أبدع قدرة الله : تخرج الحى من الميت . وتخرج الميت من الحى : ولكن . ما أعجبها : تبجل المرأة تخلق من الرجل الحى والميت فى آن واحد : ولعابها حينئذ تقول « أيها الإنسان : إنك بعض الوجود : وإن اسمى مماثل لاسم ما يتصرف فى الوجود : ألا وهو القدرة الأزلية ومن هنا تغلبت عليك . فلا تحاول أن تعارض .

« كلمات من الجمال وروحانيته . تجسست فكانت رقة الأنوثة وحنانها . وحروف من النار ولطيفها . تركبت . فصارت سخط المرأة وغضبها وأسلوب من التحطيم والهدم والعنف : تكون : فأصبح نظرة الجميله ودمعتها .

« ما أصعب الأقدار على مادة الرجل : لأن المرأة منها . وما أشد تأثير الجمال على عاطفته . لأنه أحد وسائلها : وما أمر تمزيق القطيعة للاحشاء . لأنه من توابعها .

* * *

« يا عجبا . اسم كأنه السحر : يبتلع في جوفه حروف الرجل : حتى أنه ليفهم بأن هذه الحروف منتزعة له انتزاعا : ومخطوفة له اختطافا . ألا تراه حين يسمع اسم المرأة : يحس له في أذنه صدى : وفي عقله رنة : وفي قلبه ترنما حميلا : أين من ذلك كله اسم الرجل . فهي ترهب وترهب . كان بينها وبين المقادير رابطة . وتؤثر وتؤثر : كان بينها وبين الغرابة في الطبيعة صداقة ، وتسكوى صاحبها . كأنها من الألم انتزعت : ومن اللهب أخرجت . ومن السعير نبتت .

« في رحمها نفس العذاب . وفي إقبالها عين الضباب ، لأنه للذتهما وارتياح الموء لهما . يشعر كأنه انتقل من عالم إلى عالم . وكل إنسان طموح جموح : فهو يريد المزيد ليرقى : ويريد الرقي ليتمتع ، وهنا تحد رعبته . وتتحرق عواطفه . فتأبى هي وتمنع . وتتدل وتغرى وهنا أيضاً تنتج الحسرة الكلمة . ويتقابل الجسم فجأة بعوامل مضادة فتتخذ حركاته : ويأس تفكيره : وتجد حساسيته .

* * *

« غلظة ورقة . حين تجمعتهما . سيطرت غلظة الغلظة . على رقة الرقة فقالتا فيما بينهما . حين تكون الرقة لاما نعان أن تكون الغلظة . وإذا وجدت الغلظة لاجائز أن تكون الرقة . أنظر إلى المرأة في حالتها دلالتها وغضها . لا يسعك إلا أن تهاب كيف تفكر . وإلا الحيرة فيما ترى وتدبر .

« حقا إنها من الأعاجيب . حيث سارت أو حلت . ومن الرغبة حيث وجدت أو نظرت . ومن الرهبة حيث حبت أو عشقت . . . فلا تسألها إن تعدت أو جنت . بأى ذنب عذبت أو قتلت . فما تكلفت هذا إذ قدمت . وإنما هو من طبيعتها حين خلقت وخرجت .

. . .

« لو زدت واو أعلى اسمها . كانت مروءة . ولذا فهي جميلة جمالها سامية سموها . مصقولة صقلها . إلا إذا غمرت كبرياءها بشيء . ولمست احساسها بنقص . عندئذ تغيب عنك غياها . وتنزوى فى واوها وتذهب ذهابها . وتترك تتقلب حنقا وسخطا . وتتقطع زفرات وشوقا . ولا يهمها . كنت زوجها . أو عشيقها . أو محبا . ثم تقول لك « أنت الذى أصبت نفسك بنفسك . فأصلحها . ثم اتنى .

« ما أقل أصلها . وما أشد نكرانها للمعروف .

وإن الحديث إذ يبين أنها من ضلع أعوج ، ليصور معانى المرأة

السامية ويشير اليها بكلمة ضلع ، ويحذر من معانيها الخسيسة ، ويشير اليها بكلمة أعوج . وكأنه بمجموعه يقول لنا

« اذا ابتسمت لكم المرأة ، فلا تنظر والشفقتها ، ولكن ، استطلعوا مكنون قلبها ، واذا غضبت أمامكم ، فلا تندعوا لحرمة وجهها ، وانما طبقوا قوانين التصنع على حركاتها ، واذا احتاجت لشيء منكم ، أعطوه لها ، ولا تنتظروا منها جميلا

« مكنون (١) القدر يوضح بعض أسرارہ للبشر ، فالسعيد من يوحيه اعتبر ، والهالك الحزين ، من لأمره ترك ، ومن زجره فر

• • •

« يالها من مادة حارة ، انصهرت في ثناياها عزيمة الانسان ، وذابت فيها صلابته ، ولولا انتفاعها بعاطفته وطفولته لمحقتما محقا ، وسحقتما سحقا

• • •

« أيتها المرأة ، ليكن مثلك كحديقة مفعمة بالزهور والورود ، بولسكن مكتوب بجوار بابها ، من أرادني فليشتم رياحيني ، ولا يلبسها يديه ، ويا أيها الآباء ، فساد المرأة منشؤه اليكم ، واصلاحها ، عائد

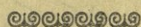
(١) هو النبي صلى الله عليه وسلم

عليكم ، فغلبوا في تربيتها جانب العقل على جانب العاطفة ، وحين
تربون انظروا الى مادة المعاني الرفيعة ، واقتبسوا منها
ويا أيها الشباب عاملوا المرأة على أنها معنى من المعاني ، أو فكرة
من الأفكار .

فكما أنكم تحرصون على سمو معانيكم ، وجمال تصويرها ،
وتحافظون على حسن النطق بها ، وتخير اللفظ لها .
كذلك يكون شعوركم نحو المرأة .



هلال الربيع



جمع السكون هجمته : ونشر السكرى أجنحته . واسود إهاب الليل
وحلك الظلام : وسرت في الفضاء الرهبة ، وعمقت الوحشة : وعمّ
السكون العميق .

الناس يستوحون أحلامهم ، والطير يتخيل غدواته وروحاته
والبلابل صامتة لتغنى ، وحفيف النسيم ينعس حيناً ، ويستيقظ أحياناً
وصمت البادية بين الرقة والرهبة . فهو رائع ومريع وبشرة الرمال
هههافة جميلة كأنها طليت بمادة ملساء : أسكنتها وسوتها ، وحباته
يتداخل بعضها مع بعض : مخافة أن يصيبها شيء من أذى هؤلاء الناس
الذين كانوا يمرون فوقه ، ويغوصون بأقدامهم فيه . وذرات الفضاء
تنبعث من مكان إلى مكان عاداتها في كل وقت ، وطبيعتها في كل ليل
لتلمس الأخبار ، وتستطلع الخفايا ، وتمشد الجمال .

واسكن الوجود يسمع همساً عجيباً يحمل نبأ غريباً ، يقول غداً
سيطلع الربيع : وسيكون شهراً فذاً ، لأنه سيولد فيه تاريخ الإنسانية
وقائد البشرية وسينبث في الأرض نور الهداية ، وكوكب الإصلاح .

وستزين الأرض وتبهج وتكون عالماً من المعاني العلوية : وظلالاً من
الأخلاق الربانية .

ستنتقل به الأرض من مادتها وإن بقيت في حروفها . وستقول
للسماء لا تفخرى على باسمك ، وكواكبك . وأملاكك . فسيوجد في
أصلك ، ونبع إشراقك ومصدر نورك . ألا وهو محمد صلى الله
عليه وسلم !!

وطلع الهلال في قبة السماء وأطل على الأرض وحياها بابتسامته
النجيلة الضيئة . وكانت تحية فيها معاني الغبطة والارتياح ، وفيها معاني
الجلالة والقوة كأن وراءها سرّاً رهيباً . يجب أن يقدر ويوجل .
ويجب أن يفكر فيه : وينظر إليه . ويبحث عن حقيقته ، كما كان فيها
معاني الرثاء والاشفاق لما على الأرض حينذاك من ظلمات وجهالة .

بهجة تبشر ببهجة : وجديد يمهّد لجديد : وراء (١) تدعو لزايتها
وهلال يرحب بهلال الأرض . أليس في هذا سرّ عجيب وأمر غريب .

وتحس آمنة بشيء كأنه خيال سار يجري في عقلها . ثم يظن لها
كأنه انتقل إلى أحشائها ، فتعلم بأنه ليس بخيال ، ويحتاط بها نور
ينبثق ، وأشعة تلمع . وأضواء تسطع تراها بعينها ، وتحسها بقلبها وتكاد
تلمسها بيديها . ويهدأ الناس من حولها وهي لا تريد أن تهدأ ولا تريد

(١) الهلال في أوله يكون على صفة راء . ولأن النبي نور ناطق كان أزيد
فهو بالنسبة لراء زاي .

أن تتحرك . وإنما حولوا لها ويلد ، أن تذهب بفكرها وتسكن بجوارحها وترهف عقلها وشعورها وإحساسها لهذا الشعور الغريب .

ويقبل الفجر فتنتقل آمنة من عالم التصورات . إلى عالم الإخراج ومن عالم الخيالات إلى عالم الحقيقة : وتذهل لما تراه . وتغمض عينها فتبصره ببصيرتها ويزداد وضوحه عن الحالة الأولى : ثم تقوم من ذهولها وتصحو من غفلتها وتستيقظ من سباتها فتجد بجوارحها إنها وسيد السكون محمداً صلى الله عليه وسلم .

ما أبدع الخواطر تتحد ، وما أجمل مصادفات القدر تتجمع . فيتولد منها السرور والنشوة وهل ولد محمد في الربيع إلا ليكون رمزاً على أنه سيكون ربيع الوجود وزينته ، وهل ولد في مكة ، إلا ليكون النقطة التي تمتد منها السعادة الى العالم (١) كالقلب يوزع الحرارة على ماحوله . وهل ولد في يوم الاثنين إلا لينبه الغافلين بأنه الحلقة التي لا يمكن أن يستغنى عنها في دائرة العالم ، فقد يستغنى عن طرفي الدائرة ، ولكن لا يمكن بحال أن يستغنى عن وسطها . وهل ولد في وقت الفجر إلا ليكون نقطة الفصل بين حوالك الظلمات ، وبهاء النور ، وهل ولد يتيمًا إلا ليكون دليلاً على أنه وحده عالم كامل سيأتي بدين كامل ، وسيعقب تاريخاً كاملاً . وهل ولد شاخصاً يبصره

(١) فلقد قيل إن مكة في وسط الدنيا .

إلى فوق (١) إلا ليمين بأن العاقل الأريب هو الذى لا يقتصر بفكره على الأرض . وإنما يحنج بتفكيره الى عالم الأرض وعالم السماء ؟؟
 دنيا تكون داخل دنيا ليعمل بهما القدر عملين عظيمين ولكى يستطيع أن يجارى الناس على اختلاف حالاتهم وتمايز صفاتهم . فمن كان من الناس رغباً فى خلقه ، سامياً فى طباعه ، نبيلاً فى مقاصده . حوّل اليه القسم العظيم من النبى . وهو السباحة واللين ، والهدوء والدعة والسلامة والطمأنينة . ومن كان عكس ذلك ، حوّل اليه مجرى البشرية الذى فيه ، لى يقابل الشر بجنسه : والحرب بمثلها ، والصدود بجفوته
 ا ليهلك من هلك عن بينة : ويحيى من يحيى عن مثلها : وان الله سميع عليم .

« وابتدأت نفوس قريش . السكرى بخمرها ، الغارقة فى أوهاما ، الحيرى بأصنامها ، تشم للخمر رائحة من جديد . وتتلس فى الأصنام معنى جديدآ ، وتفهم للاوهام حقيقة جديدة ، « لمحت هذا كله فى ذلك الصوت الذى كان ينبعث إليهم من محمد ، ويصل الى آذانهم ، فكانت تجد له رنة أيمارنه ، وحلاوة لا تماثلها حلاوة ، ونغمة لا تشابهها نغمة ، من هو محمد ؟ انه الرجل الذى يقول للوجود ، أنا لا أخطب مفرداتك ، فحين أكلمك أكلم جمعك ، وللسماء أنا منك ، وأنت منى ، فالبعد بيننا بعد أشباح ، وللارض غدينى بحبك ونباتك ،

وأنا أغذيك بفضائلي وقواني ، وللنفوس ، طاوعيني ، وأنا أكفل
لك سعادتك التي لا تزول ولا تفنى ، وللأصنام ، لا تغرنك كثرة
أتباعك ، ولا جلبة أصواتهم ، فسينكشف اليوم الذي يلبصقك
ومتبعيك بالتراب :

« وتم معنى النبي من جهة الدنيا بزواجه الخديجة ، وتم معناها من
جهة الحياتين بزاجها له

جهتا السعادة تتحقق في جانب هذه البشرية الكريمة ، وتتأرجح في
قلبه السليم الحى . وضميره البرىء الخالص ، لتقول له ، أنا رهن
إشارتك ، فإذا أردت أى شىء ققل لى

« وتهيأ النبي لربه ، بتعمقه فى عزلة ، ووصوله اليه من جانب قلبه
فأقبل عليه ربه ، واختاره الرسول الأمين ، وأرسله بشريعة جاهد
لها وكافح ، وصبر وصابر ، وناضل وواصل حتى كونها ، وجعل
خلاصتها التواضع فى غير ذلة ، والإنصاف فى غير ظلم ، وتقدير
النفس فى غير كبرياء ، ومعرفة الله ومراقبة فى كل وقت وحين .

. . .

« اننا لو نظرنا الى هذه المبادئ الأربعة ، وأفضناها على أعمالنا
وقيدنا بها جوارحنا ، لاستطعنا أن ننشل أنفسنا ، ونخرجها من هذه

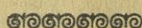
الورطات المظلمة ، ولقدردنا أن نساير غيرنا من الأمم ، ونخطو الى
الامام بأوسع قدم .

* * *

« اللهم فوفقنا للخير ، وقو عزائمنا على الاصلاح ، وانقلنا الى
يوم جديد .

يا هلال الربيع ، ما أجملك ، وما أبهاك .
عظمت شهرا ، وسموت قدراً ، ونبلت بدرا
هلا تزف الينا بشرى كما زفقت الى مكة ؟
فلقد أصبح حال المسلمين اليوم قريبا من حالها !

الجوهرة المكنونة



لا تسبح بفكرك ولا تذهب بخيالك فليس هذا الشئ من ذهب ولا من
لؤلؤ وإنما هو عقيدة المرء وعزيمته . تنبعث فيه منذ يولد وتلازمه حيثما
نشأ وترعرع ، فأول ما تهديه إليه أن اللبن هو غذاؤه . وأن أمه هي
كل شئ . فإذا كبر نفتت في لسانه النطق باسم أبيه . على أى لغاته :
فإذا درج : بثت فيه معنى الحياة : وأطلعته على النافع منها والضرار : فإذا
استوى : أمرته بعمل الأول وهجر الثانى : وقالت له « الآن آن لك
أن تعرف : أين مكاني فيك : وما الغرض من وجودى معك : وما
الحكمة فى ملازمتى لك : فأنا أحيتنى فيك : فنفسك أحييت : وان
أمتنى : فذاتك أمتك : وشعورك أذهبت : ومعانيك الحية فقدت :
وبخصائصك البشرية طوحت

وهى نبض حى : يأبى الخنوع والاستكانة : وصمت مسيطر : فيه
قوة البركان المنفجر : وقرار دائم الحركة : لا يهدأ : حتى يهجع صاحبه
الهبجة الأخيرة : وناموس ثابت : لا يقبل التغير ولا التبديل :
وميثاق مأخوذ : ومطالب بصفائه وتنفيذه ، وحياة معنوية ، فيها
لذتها وقيمتها لو فهمت وقدرت
« وأليق ما يسمى بها ، سمو العظمة .

لأنحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء . جهادهم في سبيل الله ، وإقدامهم على الموت من غير مبالاة . هو العظمة ، وعقيدتهم التي توحى إليهم ذلك : حتى يشهد لهم ربهم وينزل خلودهم من سمائه هو سموها . احرص على الموت توهب لك الحياة .

لسان ينطق بهذه الكلمة ، ويبعثها الى الوجود هو العظمة : وعقيدة تعمل بها وتطبقها على جوارحها : هي سموها .

اللهم أعز الإسلام بعمر

رجل ترسل إليه هذه الكلمة من أصدق صادق في الوجود ، وأعظم متسكك ، هو العظمة ، وعقيدة لا تشمخ عند سماعها ، ولا تغالى في كبرياتها ، هي سموها

« واذ ، فليست هي لسانا يثرثر ، ولا مظاهر خداعه ، ولا ملابس فضفاضة ، ولا تسكف يتطبع ، ولا حركات تقلد ، ولا نظرات يحافظ على رفعها وانخفاضها ، وإنما هي ذلسم المعنى يرتسم في قلبك فيوضح ، لك ، ان هذه الدنيا لا تستحق عملا ، وان مظاهرها ، لا تساوى عناء ، وأن ذاتها لا يجهد في تحصيلها عاقل ولا يتعب لنيلها رجل ، ورسالة المرء ، يجب أن يكون أولها الرفعة ، وآخرها الخلود ، لأنها لا تلقى الا على جانب الروح ، وهي من القسم الأزل القديم . »

« أجل ، ان الرجل الذي تتمثل فيه العقيدة الحققة ، فيخضع لها . »

ويستحي من مخالفتها : يكون الدم الذي إذا فار : لا يهدأ : حتى ينصهر
ما فار له : وغضب من أجله : والذي إذا سكن : لا يتحرك إلا لأهانة
عرض أو كرامة : أودين أو وطنية .

ويكون العين التي تنظر في ظواهر الأشياء حقائقها الباطنة : فتقتبس
عبرتها : وتفض الطرف عن بقيتها : ويكون اللسان الذي لا ينطق
إلا بالحق : ولا يتفوه إلا بالجد : ولا يبسم إلا للترويح . أو مجارة
الأقدار . ويكون الشخص الذي يقول للمستحيل : قف مكانك :
ولا تبرح : وإلا . ازلتك من الوجود وبذلك كله : يسكون السهم
النافذ الغريب : لأنه سهم من لحم ودم .

« وإنك لتراه . فلا تحسب أنك أمام من اهتزت له البقاع : وقامت
له الأرض وقعدت : لأنه عرف كيف يعامل نفسه : وكيف يسيطر
بالحق لا بالباطل : كأنه يريد أن يقدم مهر ظهوره . خفاءه وعدمه
التكلم بلسانه .

ولا أدل على ذلك من هذا الرجل يقابل ابن الوليد . فيسأله .
أين خالد : فيقول له . وماذا تريد منه . إنه شخص كشخصي وقامته
كقامتي وبيته كبيتي .

« صالحة السيوف مفزعة في ذاتها : مرهبة في حقيقتها : مرعبة

لناظر بها : لأنها هي التي تحتطف الرؤوس من أجسادها : وتنزع
اللحم من أعصابه : وترفع الروح إلى عليائها . وتجعل الانسان القوال
جنة هامة . ولكن صاحب العقيدة يرى هذا كله : محتم الوقوع .
ضروريا منه . لأنه من لا بدّات الحياة . وبهذا تزول صعوبته : ثم
يقارن بين حاله . قبلها وبعدها ، فيرى أنها هي السلم الوحيد الذي
ينقله إلى رضوان الله ، ونعيمه وحناته . وحورها وأنهارها . وعسلها
المصفى . وبهذا يستسيغها . ثم يقول في نفسه : خفاء عقيدة . وخفاء
عمل . هذا ان يكون . لا بد من إظهار أحدهما ، والعقيدة لا تظهر .
فلا مناص من الثاني وبهذا يقدم على الموت ، ويخوض غماره ويبحث
في طلبه ، وينازع الحياة في نصيبها ، هادئا مطمئنا . وبهذا تنشر ذكراه
وتردد الألسنة إسمه مدى الزمان .

. . .

• لولا أنها تعلم علما يساوى ذاتها ، أن القدر لا يريد من جهاته
المخبية . إلا النفع للانسان ، والخير الشامل له ، والحياة السعيدة لعالمه
وإن خفيت حكمته عن حدوده ودائرته ، لقاتلته ، لا تخضعن ولو
للقدر ، وهل يغيرها يقدم الحى على أسنة الرماح غير هباب ولا وجل
لا والله ، ولو كان هو فرعون البشر ؟

. . .

« قد أفلح من زكاهما ، وقد خاب من دساها
ولو أمعنت لرأيت الفرق شاسعاً بعيداً ، بين رجل أحيا عقيدته
فيه ، فكان الأسد الصهور ، يتمشى في الصحراء ، فيلحق ما يبصره على
الرمال ، بالرمال نفسها ، ثم يقول لعقله ، ماعليك إلا أن تفكر
وأنا الذى أقدم لك ما تريد
وبين رجل أمات عقيدته فيه ، فلا تراه إلا خائفاً من ظله ، متلجلجاً فى
كلامه لا يقدم على أمر إلا إذا شاور التردد ، ولا يحزم برأى إلا تركه
حريفاً للوهن ، ولا يقطع بحالة إلا أبصرت قلبه فيها



« أنت على هامش الوجود ، وظاهر الطبيعة ، ما أنت غير متمسك
بها فإذا أظهرتها فى محيطك كنت الشهم الذى يهمس بالكلمة ، فتفعل
فعلها ويحدث الحركة ، فتصعق لها النفوس ، وتهتز من أجلها
القلوب .



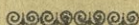
« إيه أيتها العقيدة .

لقد أصبحت الآن محتفية من جهتيك ، ذاك وآثارك ، ولقد
زورك الاتفاق بآثامه ، وأحاطك بسياجه المنيع ، واضطربت فى ثناياه
كما يضطرب الغريق فى لجة البحار الخضمة ، وكنت منتظرة أن إنسان

اليوم ينفذك بما أنت فيه ، ولكنه آه ، تعاماك ، وتغافل عنك ،
وتحاشاك ، وجعلك في طرف لسانه تقبلين كل كلمة تخرج منه ، وكان
عذره الوحيد إليك ، أنك أصبحت كلمة ، واللسان هو أداة الكلام
كما تعرفين

ما أشبهك اليوم بأمسك في الجاهلية ، وما أشبه آثارك بآثارها
أيتها العقيدة ، أنت في زمن لا يقدس إلا المظاهر
فأما أن تظهرين ، وإما أن ترضين ، بما أنت فيه ، حتى يقضى
الله أمرا كان مفعولا

بين الرياض



ماخلق الله بشرأ إذ خلق ، إلا وفيه الشعور بالجمال والحب للتجميل
والارتياح لاجتلاء الطبيعة ومحاسنها . ولولا الجمال وبهاؤه : ما هدأت
الروح في جسمها لحظة ولا تحملت ظلمته طرفه ، ولا سكنت في هيكله
لحمة ، ألا تراها حين يذبل الإنسان ، فيمرض شعوره : ويقل إحساسه
وتنعدم عاطفته . وتجمد حيويته ، تعمل هي على أن تفارقه ، فتشغل
حركتها فيه ويكثر ضعفه ووهنه ، وهزاله ونحوه . ثم تفارقه فيصبح
جنة كالثرى .

وهل الجمال رسول الروح ، أو الروح رسول الجمال ؟

سؤالان يحتاجان إلى تمحيص وتدقيق ، ولا تظن أن هذا
يخرجهما عن دائرة الجمال ، فإن الجمال الحق هو الذى يفرض عليك
سلطانه ، فتراه يبصرك ، وتفكر فيه بعقلك ، وتستهو به بقلبك ،
وتسكب فيه شعورك ، وتفيض عليه حساسيتك ، وتعمق في ذلك ،
حتى تصل إلى حقيقته ، وهنا تعرف الجواب عن هذين السؤالين ،
ولعلك تهتف حينئذ ، ليس السلطان هو الذى يجلس على كرسيه ،
وحدوده مملكته ، وإنما السلطان الجدير . هو الذى تراه في كل وردة

وكل بسمه ، وكل إشراقة ، وكل لفظة ، وكل ضياء وهو الذى يذيك
ويأخذك معه ويفنيك فيه ، ويتركك أشلاء همها إثبات نفسها على
الوجود . وإعلام من حولها أنها لاتزال حيّة باقية .

الصمت أقسام كثيرة . فصمت للمحب أمام حبيبته ، ليرك الكلام
لقلبه ، والمناجاة لنفسه ، وصمت للحزين السكّيب ليمثل حزنه : ويشيعه
فيما حوله ، ويقول للحزن ، إذا أتيت فأقبل وحدك ، فلا أستطيع
أن أتحمّلك وغيرك ، وصمت للنظرة يعبر عنه بحديث العيون : أوسهام
القلوب ، وهناك . وهناك صمت كبير كبير : وتحتة دوى جليل جليل
وهو صمت الطبيعة .

إنه لصمت يحمل البلاغة بأسمى معانيها . ويبطن الفصاحة فى أعلى
تراكيها وما اللسان حين يفصح إلا أنه يريد أن يفرج عن نفسه .

وفى خلال هذا الصمت كنا نتمشى ونترنح ، وتبايل ونمرح حتى
أوقفنا رهبة البحر . وبسمة صفائه : فوقفنا لنفيض على أنفسنا شيئاً
من بهائه ونمتع أعيننا برؤية أمواجه ، تتلاطم وتتعاقد : ولترك
لعقولنا العنان فى الإعجاب بالخالق العظيم : والشئام على القادر الحكيم

يا لجلال البحر . تسبح فيه بخيالك ، وتخوض فيه بعقلك . وتعموم فيه بنظرتك ، وما يعيرك نظراً ولا يهتم بك أبداً ، وتوحى اليه ، إلى أحبك وأخشاك وأرهبك . ويوحى إليك : تأدّب ، فانهودت السفسطة ولا تؤثر على الثثرة ، وتودعه سريرتك ومكنونك وخفيك . فلا يزيد على أن يرسم على صفحته شكره لك إذ جعلته موضع ثقتك ومكان تقديرك ، وتذهب إليه . وتقف على شاطئه . وتبعث تحياتك وسلامك فلا يرد عليك إلا بنفس خيالك . وتقول له : أيها البحر ، إلى أنا الإنسان ، فيهمس إليك ، اصمت ، وإلا أخذت منك نصيبي . فلا تبقى إلا قبضة من التراب (١) .

وكانت جلسة ممتعة رائعة . تلك التي قضيناها على حافة البحر : حتى كنت لا أدري ، أمزج السحر بنا فكان هو نحن ، أم مزجنا به . فكنا نحن هو ؟ وبعبارة أدق .

أرأيت كيف ينتعش جسم العاشق حين يقبل معشوقته لأول مرة كذلك كنا ننتعش نحن كلما جددنا النظرة إلى البحر . ثم أرأيت كيف تسرى قطرات الكأس في جسم محتسبها . كذلك كان يسرى هواء البحر في جسمينا . ثم أرأيت كيف يستمد الحب سر الجمال من عيني حبيبته ، وسر الحياة من شفقتيها : كذلك كنا نستمد الحياة والجمال

(١) لان جوية الانسان من نطفته : ولأنك أن النطفة من ماء

من هذا المنظر . ثم أرأيت كيف تفيض البالغة في الحسن روحا من خفتها ، وروحا من روحها . كذلك كان يفيض علينا شاطئ البحر . ثم أرأيت كيف يكون جلال صمت القمر وترقرقه أمام مناجيه كذلك كان أمامنا صمت البحر . ثم أرأيت كيف تفعل الجميلة بسحر نظراتها الفاترة المتها السكة دلالا ولسكنها مملوءة بالرغبة ، كذلك كان يفعل فينا نسيم البحر أفاعيله . ثم أرأيت كيف يبتهج العاشق عندما يرى لحركاته ظلا معكوسا في جسم حسناؤه كذلك كنا نبتهج نحن عندما كنا نرى لحركات أعضائنا ظلا مرسوما في الماء . ؟

ثم سرنا حتى زجرت بنا الطبيعة في عالم الجمال فهل تدرى ماهو ، إنه حديقة ضاحكة الربى مشرقة العناقيد لؤلئية الأزاهير . لا يستطيع وصفها لأنها كإسرار الغيب . ولا يمكن إحصاء ما فيها لأنه كنجوم السماء . ؟

وإن تعجب فعجب أن ترى هذه الطيور تغنى وتشدو فيأقينا تغريدها رويدا رويدا ولا يكاد يصل إلينا حتى يكون ما بيننا وبينه من هواء قد حمل . فولد لنا اللذة والانتعاش والمرح والهناء .

ولقد شعرنا فيها أننا لسنا قادرين على احتمال عبء الحياة الثقيلة كأن طبيعتنا خلقت من جديد في عالم جديد ألبق ما يسمى به العالم المتجدد لأنه يصب في شعوره الفينة بعد الفينة شيء من الحسن فيحدث عنده شيء من التغيير ولسكنه كتغيير رجل الجنة : تدخل عليه الحور •

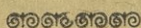
العين فهو انتقال من بهاء إلى أبهى : ومن متعة إلى أمتع . وبتو الى درجات التغيير علينا أصبحنا سكارى وإن كنا لم نشرب زيبيا ولا خمرأ فعلنا أن رعشات المناظر الخلابه سرت في أعصابنا ثم امتزجت بعقولنا . ثم تمشت هذه الرعشات على قانون الحديقه « التغيير والتجديد » فتغيرت فانقلبت أشعه تستضيء وتضيء : ثم رجعت الى مصدرها الحقيقي فوجدته قد تغير أيضا . ووجدته أشبه بالروح الإنسانية في نورها وصفائها وفي هذه الحالة كانت أجسامنا تستمد منها الحياة كروح أخرى وتستمد منها الضياء كعين أخرى وخبرني بربك اذا انسكبت روح في روح في نور أليست العاقبة السكر ثم أليس السكر يكون من غير زيبب ولا خمر ؟

...

مرحى أيتها الحديقه مرحى .

سعدت نفوس تمتعت بلاإليك ، وذبلت عيون لم تنظر روعة ناديك ما أنت إلا البدر قد شمع ، وما زهر ك إلا البرق قد لمع . وكأن جمالك قطعة من القدر ، وكأن مرآك سهم من سهام النظر إنك السلوى لكل أسي وشجن : وانك الخلاص من كل هم وحزن . رباه خلقت الجمال دليلا عليك . وأوجدت فيه القدرة بالغه لأنه منك اللهم ففتح عيوننا وآذاننا وقلوبنا بروعة الجمال وسحر الجمال . وفننه الجمال .

زهرة^(١) في رعاية الشيطان



« هبة من الله . وإن شئت فسمها زهرة . .

تلاّلات لسكن لتذبل . وأينعت لسكن لتقطف . وفنتت بجها لها ،
لسكن لتطلب ، واسترعت الانظار لتسكون قبلتها ، وخلبت العقول .
لتسكون مطعمها ، وللزهرة أن تجمل وتلاّلا وتفتن ، ما استطاعت
إلى ذلك سيلا وكل ذلك من دواعي الحسن والسكال ، إذا كان لها
حرم مصون ، وحسن منيع ، فاذا أهملت حراستها ، وفرط فيها ،
كان ذلك كله . وسيلة للطمع فيها ، ونذير آ لشؤم طالعتها . ومبعثاً
لقلقها وخوفها ، ومقدمة لخطر داهم محقق . وتصبح قبرا . ولسكن من
صنف جديد . .



« ولقد كانت هذه الزهرة من الصنف الأخير ، تنافس عليها
مردة الأنس وشياطينها ، وكان لابد لأحدهم أن يفوز بها ، بل كاد
الامر أن يقضى وأوشك الأمل أن يضيع . إلا إذا جدد الله .

(١) هي مصر بالنسبة للاحتلال الأجنبي

« إن من البلاء ما يضحك . كما أن منه ما يبكي ، وإن من البلاء
بلاء يجعل المرء بين الضحك والبكاء .

« وإن الشيطان حين يريد الغزو . يغزو بخيله ورجله ، أما هؤلاء
المستعمرون فقد غزوا هذه الزهرة بخيلهم وخيل أبنائها . ورجلهم
ورجل نفسها . ومن هنا ولدت تلك الطوائف التي خرجتها مدرسة
الاستعمار . لتشبع غرائز الانانية الحقةرة . وخبت امبراطوريتهم
المعجوز .

فيا عناية الله . ها هو ذا إنسانك . أبدعته لكي ينشأ ملاكاً طاهراً
وصفحة نقية بيضاء ، وأسلوباً سهلاً ليناً ، وناموساً عاماً جميلاً ،
ووجوداً هادياً خيراً ، فاستكمل قصصه من فضائله ، ثم تركها في انهيائها
حتى ذبلت فيه وطارت هرباً من نواياه . ربما تتدنس بخبثه ، ويعلق
بها شيء رذائله ، وتغيرها دفة طباعه . فهل هذا يليق . يا عناية الله

« يا عناية الله ، باطل يلبس أبهى الحلل . ويطعم فيما يطعمه ،
أشهى المأكولات ، وأجمل المشروبات ، ويسكن أعلى القصور ،
ليرى ما يريد ، وينظر ما ينبغي ويتنزه في أجمل الرياض ، ليقطف
الزهور ، ويشتم الرياحين ، ويرتع في الفضاء ، ليرهب الغير بشموخه
وكبريائه ، ويتكلم بلسان الدنيا . ومن فم الوجود : وعلى مسمع

الاقطار ، وبقصد التحدى . ومر الافتخار

« وحق موضوع في صندوق ، علم مكانه ، ومحفوظة صفاته ، ويقدر اسمه ، ولكن ، ذهب كل ذلك هباءً ، وغطى عليه خبث الحياة ، فأهين أهله ، وغلل ذووه ، وانحصر في دائرة العرف ، وتمشى عليه قانون التطور ، وضيعته تشويهات الحداثة المشمقة ، وكاد يمحيه أعداء الهدى والفضيلة ، وأوشك أن تمضغه أسنان متبعيه أنفسهم وينزل إلى أمعائهم ، مهضوما جاهزاً مفرقاً ، ومن هنا خلاص أكثر زيته وتنسكرك له لداته وتجاهله أقرباؤه ، فهل للجسرة موضع غير هذا يا عناية الله ؟؟

« يا عناية الله ، كنا نعيب العيب ، فصرنا قطعة منه ، وكنا نستبطن ما يؤلم الفضيلة ، فأصبحنا نجاهر بالفسق ، بل عددنا المنكر جميلاً ، فهل ياترى ، تغيرت العقول ، أم اختلفت الأبصار ، أم طمست البصائر ؟ أعاجيب الغرائب لا تنبت إلا من جنسها ، والشر اليوم من الغرابة كأنه هوى ، فأضحى لا يبرز إلا ما يدهش العقل ، ويذهل اللب ، ويملا فراغ الموجدة بالقلوب

شياطين الأنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا حتى شامت الوقائع ، ودنف الناس بالأكاذيب ، واستولت عليهم .

الضلالات ، وملئوا بفرقة الأباطيل ، فوقعوا فياهم فيه ، وذلك جزاء الظالمين .

» يا عناية الله

مشكلات تلد مشكلات ، وفزع يخرج مثله ، وصدمات يفوق لاحقها مقلوها ، ونسكبات في باطن الحشا ، وقروح مسننا ولم تمس غيرنا شيء منها ، نخسرنا القانون والتطبيق ، ولطمت متتالية ، تأتي مع الشمس إحداها ، وتتبع الشمس مفرداتها ، ويقبل مع المساء جيوشها ، وأنباء تكلم السهم فيذهب مجروحا ، فينسكا من جهتيه ، وقدر يخاطب ، فبشرهم بعذاب أليم .

» أفي الله شك ، قيل ، لا ، فلم كان نعم في أفي كلامه شبهة ، والا فهل إيماننا في ألسنتنا ، أم في قلوبنا وهل مطالبنا من كل أجسامنا ، أم من جزئيات الكل ، أم من مفردات الجزئية ، وهل أخفتنا مطامع الغرب ، أم غرب المطامع ؟؟؟

• * *

» يا عناية الله ،

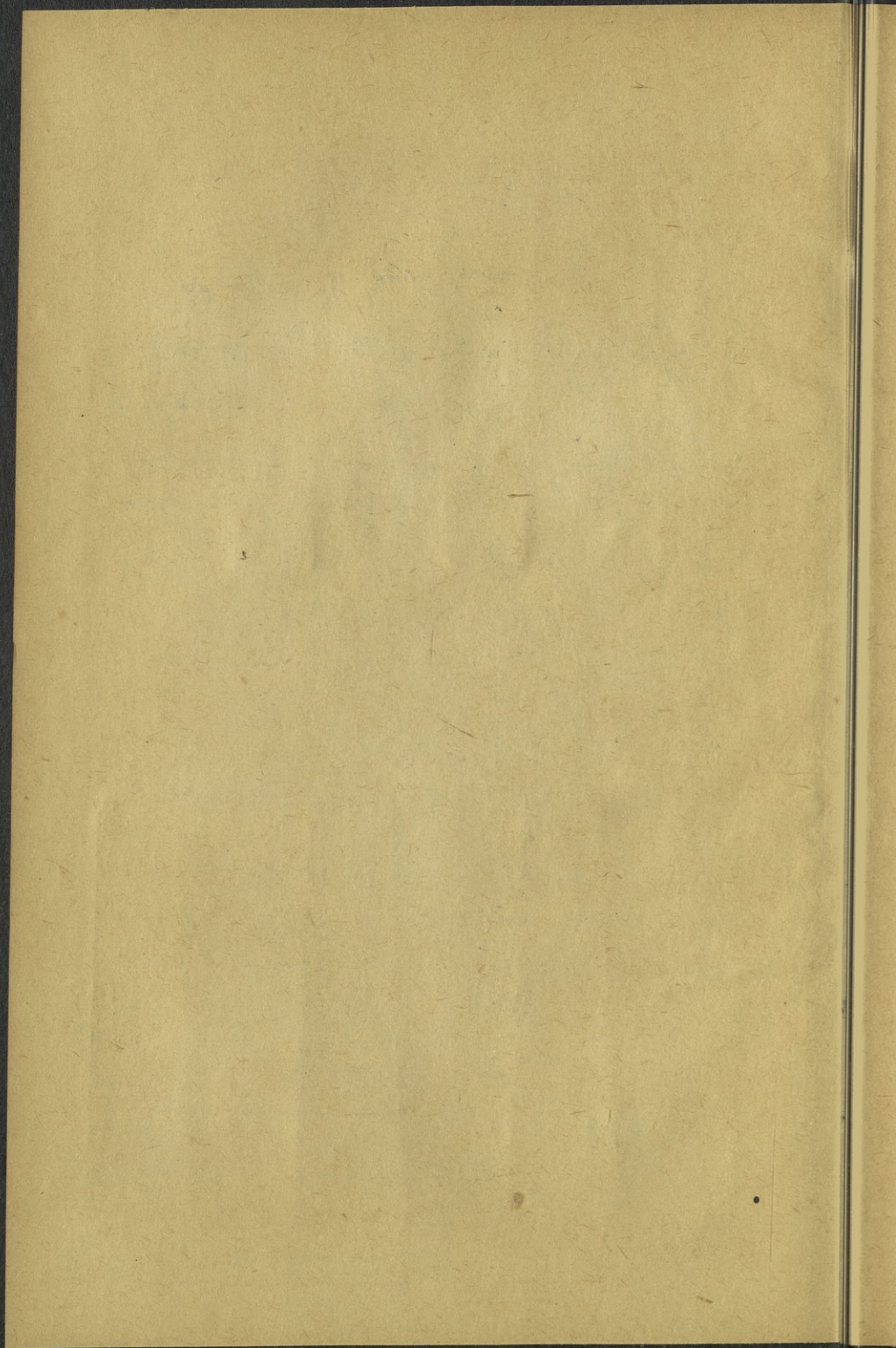
حتام نحاط بهذي الولايات ، وتساق اليها تلك القروحات ونخضع نحن لهذه الملهاة ، ونرضى بهذه التمهلات ، إن ديننا كديننا كفيل

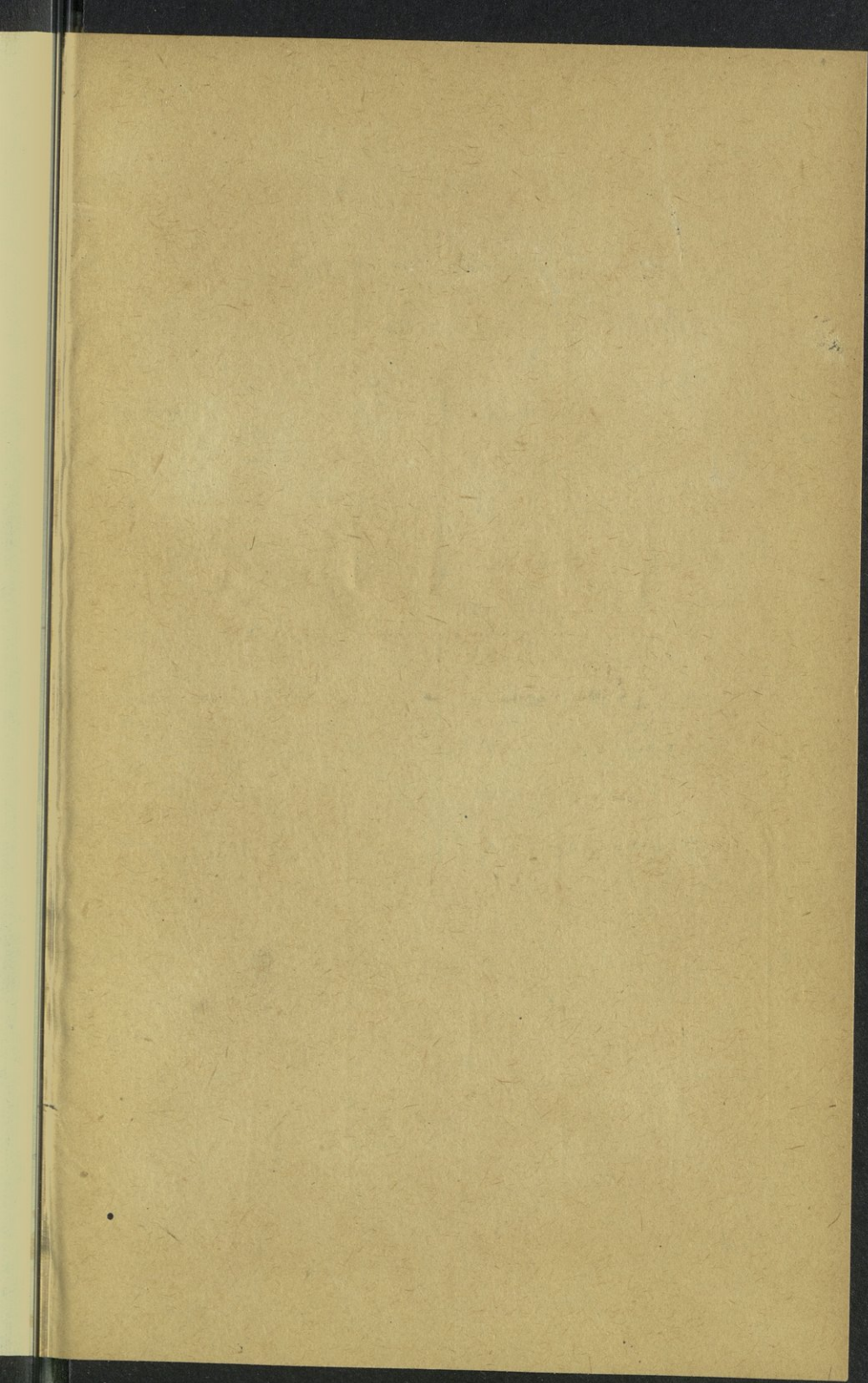
بأن يجعلنا قبلة الأمم وان نبياً كنبينا خليف بأن ينقلنا الى أكاليل النصر
ويخلق وجودنا من العدم ، وان سلفاً كسلفنا ، حقيق بأن يمدنا تاريخه
أمام أمام حتى نصل الى القمم ، فما لنا لانحسن التطبيق مالنا
لأنحسن التطبيق ؟

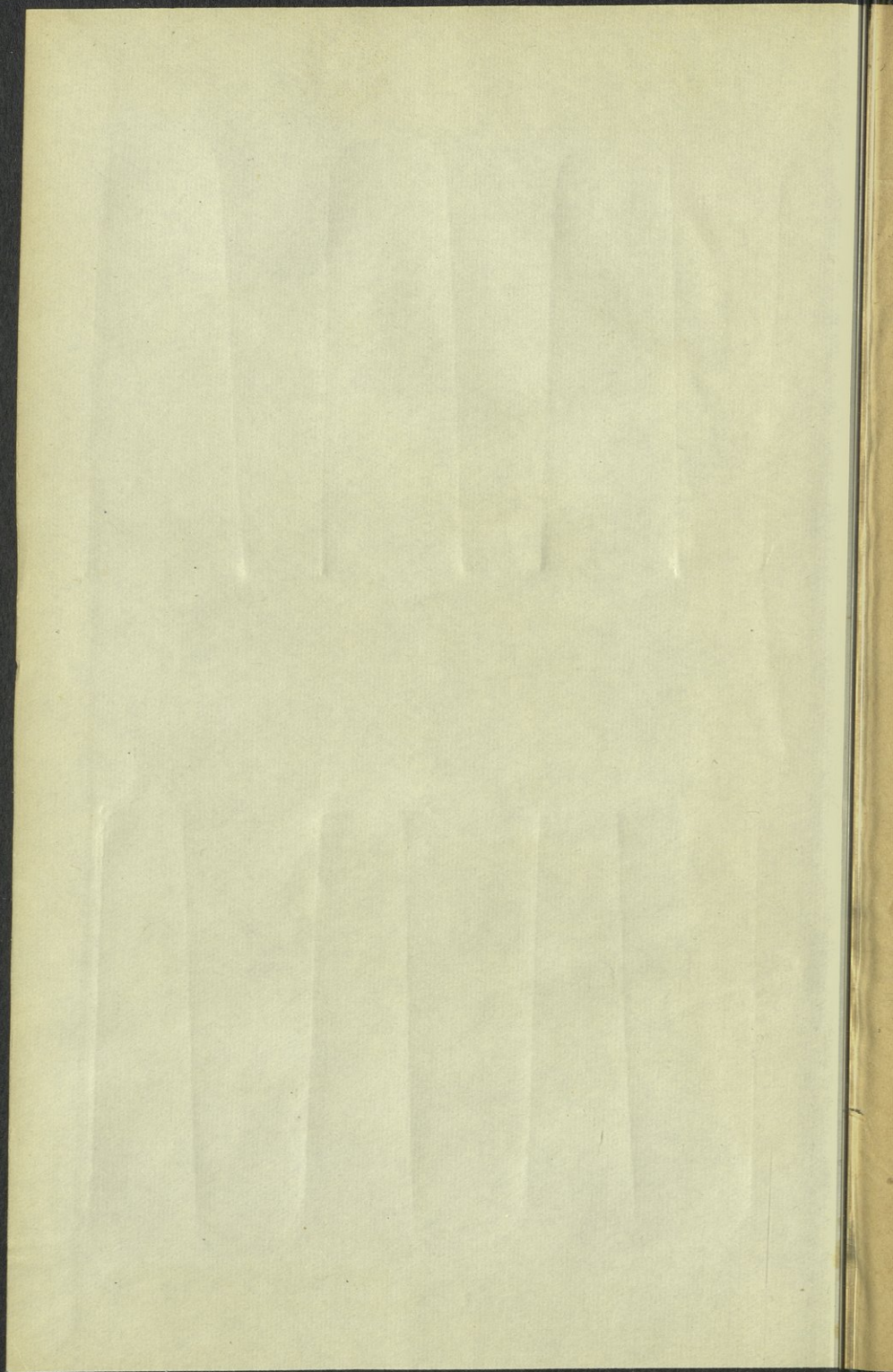
* * *

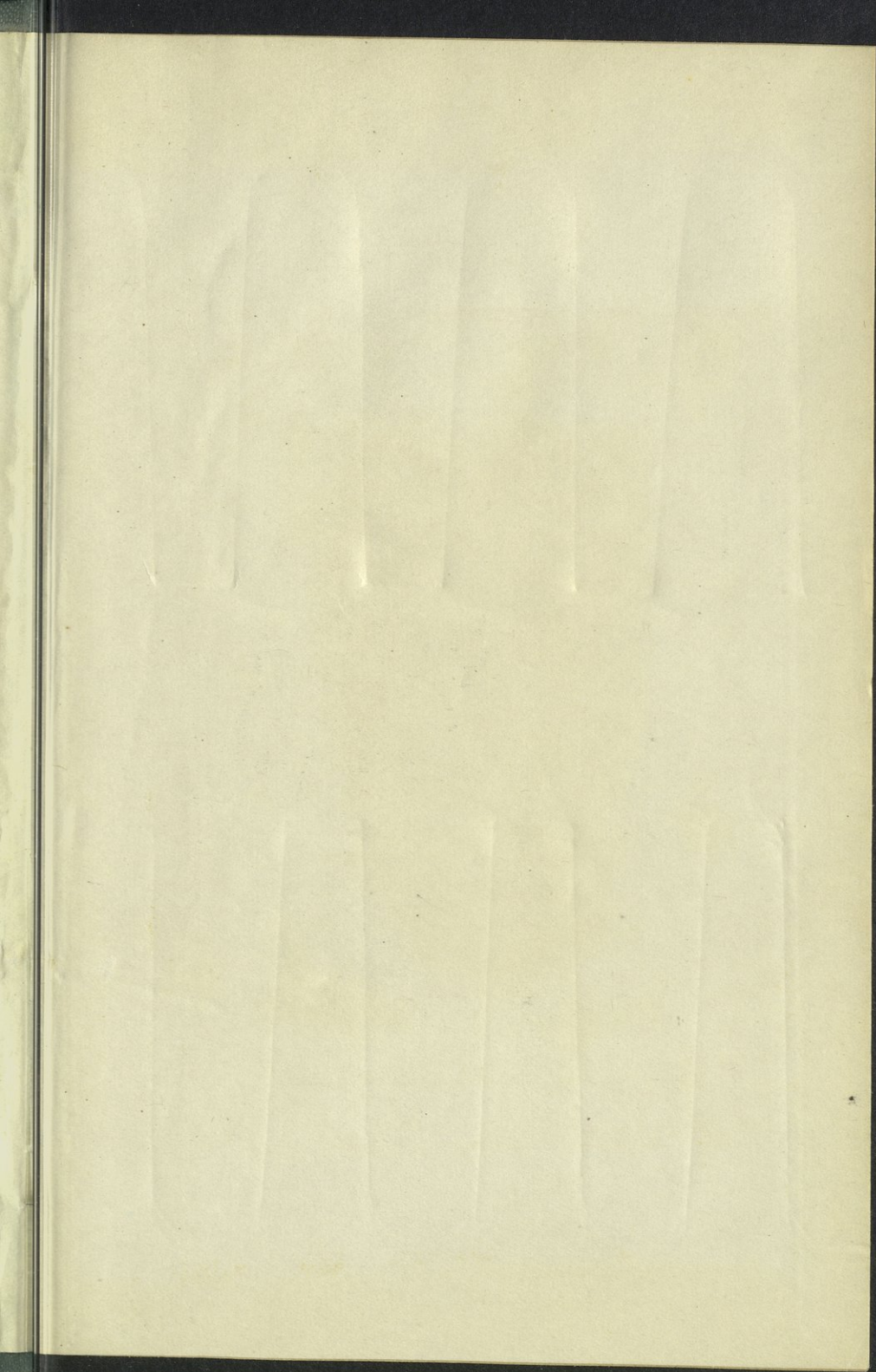
» يا عناية الله

لقد أظلم اليأس قلوبنا ، ولم يجعل للرجاء مكاناً نخذى من اسمك
ما تغلبين به عليه ، وأزيليه من هذه المكانة التي تشعب فيها ، والمحينا
بعطفك ورعايتك ومدينا بروحك التي لا تنفد وآياتك التي خلدت
حتى نمثل أنفسنا في عالم المرئيات ونترك دنيا الأوهام والخيالات ،
احتجنا احتجنا فمدينا مدينا









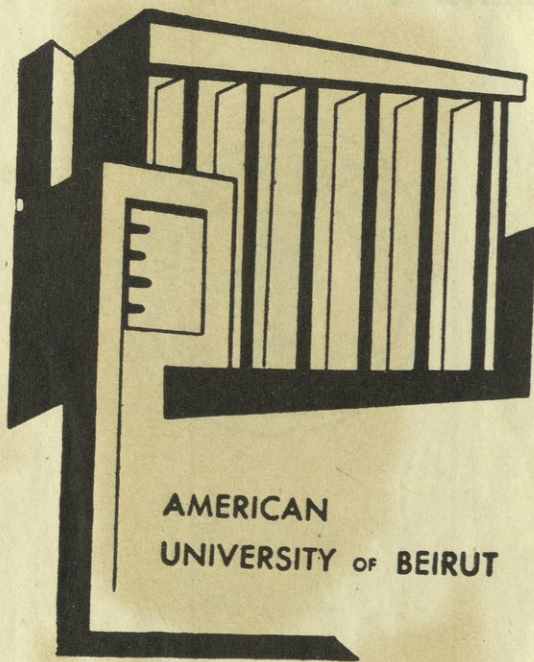
892.74:Sa16A:c.1

سالم، احمد عبد الجواد
الهام الفكر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01039207



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

